محمود شلبي

حياة عبد الله بن مسعود

دار الجيل
بيروت - لبنان

2

محمود شلبي

حياة عبد الله بن مسعود

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

احمد الله حمدا كثيرا طيِّبا مباركا فيه...

وأصلي وأسلم... على النبي العظيم... وبعد...

هذا... إن شاء الله... الكتاب الثامن والأربعون في سلسلة حياة الأنبياء عليهم السلام... وحياة الصحابة رضي الله عنهم... وحياة عظماء الاسلام رحمهم الله...

وهو عن حياة الصحابى الجليل «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه...

سادس ستَّة دخلوا الإسلام... فكان سُدُس الإسلام!!!

وأوَّل من جهَر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة!!!

ناداه أبو جهل يوْمَ بَدْر والغيظ يقتله أن استمكن منه هذا الذي لم يكن يقيم له وَزْنًا...

ناداه فقال: يا رُوَيْعِي الْغَنَم!!!

نعم... كان ابن مسعود راعيا بسيطا فقيرا يرعى الغنم...

حتى اكتشفه رسول الله ﷺ يومًا ما...

فتحول راعي الغَنَم... الى راعي أُمَم...

وتلك هي عبقرية الإسلام... في بناء الإنسان!!!

اقرأ عنه الروائع والبدائع في هذا الكتاب الجميل.

محمود شلبي

مناقب . . .
ابن . . .
مَسعُود . . . ؟!

خُذُوا القُرْآنَ . . . مِنْ أَرْبَعَةٍ ؟!

« عَن عبدِاللهِ بنِ عَمْرٍو . . . قالَ:
« قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :
« خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ . . .
« مِن ابْنِ مَسْعُودٍ . . .
« وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ . . .
« ومُعَاذِ بنِ جَبَلٍ . . .
« وسالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ . . . » .

[أخرجه الترمذي... وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.]

أَقْرَبُهُمْ إلى اللهِ زُلْفَى ؟!

« عَنْ عَبْدِ الرحمنِ بنِ يَزيدَ قال:
« أَتَيْنا عَلَى حُذَيْفَةَ فقُلْنا:
« حَدِّثْنا: مَنْ أَقْرَبُ الناسِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ . . . هَدْيًا وَدَلًّا . . . فنأْخُذَ عَنْهُ . . . ونَسْمَعَ مِنْهُ . . .

« قال: كانَ أقْرَبَ الناسِ هَدْيًا ودَلًّا وسَمْتًا برسولِ اللهِ ﷺ ...
ابْنُ مَسْعُودٍ...
« حتَّى يَتَوَارَى مِنَّا في بَيْتِهِ...
« ولَقَدْ عَلِمَ المَحْفُوظُونَ مِنْ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ أنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ...
« هُوَ أقْرَبُهُمْ إلى اللهِ زُلْفَى » .

[أخرجه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.]

لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّرًا أَحَدًا ؟!

« عَنْ عَلِيٍّ... قالَ:
« قالَ رسولُ الله ﷺ :
« لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّرًا أحَدًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ منْهُمْ لَأَمَّرْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ » .

[أخرجه الترمذي]

لِمَا نَرَى مِن دُخُولِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ؟!

« عَن الأَسْوَدِ بن يَزِيدَ...
« أنَّهُ سَمِعَ أبَا مُوسَى يقولُ:
« لَقَدْ قَدِمْتُ أنا وأخِي مِنَ الْيَمَنِ وما نَرَى حِينًا...
« إلَّا أنَّ عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِ النبيِّ ﷺ ...
لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ...

« وَدُخُول أُمِّهِ...
« عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ».

[أخرجه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ
حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجْهِ.]

أَلَيْسَ فِيكُمْ... ابْنُ مَسْعُودٍ؟!

« عَنْ قَتَادَةَ...
« عنْ خيْثَمَةَ بنِ أبِي سَبْرةَ قالَ:
« أتَيْتُ المدينةَ فسألْتُ اللهَ أنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا...
« فيَسَّرَ لِي أبَا هُرَيْرَةَ...
« فجَلَسْتُ إليْهِ فقُلْتُ لَهُ: إنِّي سألْتُ اللهَ أن يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا فوُفِّقْتَ لِي...
« فقالَ لِي: مِمَّنْ أنتَ؟...
« قلتُ: مِنْ أهْلِ الكُوفَةِ... جئْتُ ألْتَمِسُ الخَيْرَ وأطْلُبُهُ...
« قالَ: ألَيْسَ فيكُمْ سَعْدُ بنُ مالِكٍ... مُجَابُ الدَّعْوَةِ...
« وابْنُ مَسْعُودٍ... صاحِبُ طَهُورِ رسولِ اللهِ ﷺ... وَبغْلَتِهِ...
« وحُذَيْفَةُ... صاحِبُ سِرِّ رسولِ اللهِ ﷺ...
« وعَمَّارُ... الذي أجارَهُ اللهُ مِنَ الشيْطانِ... عَلَى لِسَانِ نَبيِّهِ...
« وسَلْمَانُ... صاحِبُ الكتَابَيْنِ؟...
« قال قتادةُ: والكتابانِ... الإنجيلُ والفُرْقانُ.»

[أخرجه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ
حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ.]

تَمَسَّكُوا بعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ؟!

« عن ابنِ مَسْعُودٍ... قالَ:

« قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

« اقْتَدُوا بالذينَ مِن بَعْدِي مِنْ أصَحَابِي... أبي بَكْرٍ وعُمَرَ...

« واهْتَدُوا بهَدي عَمَّارٍ...

« وتَمَسَّكُوا بعَهْدِ ابنِ مَسْعُودٍ» .

[أخرجه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ]

مناقب . . .
ابن مَسعُود . . .
مِن صحيح البخاري . . . ؟ !

ذَاكَ رَجُلٌ . . . لا أزَالُ أُحِبُّهُ ؟ !

« عن مَسْرُوق قالَ :
« ذُكِرَ عبدُاللهِ . . . عِنْدَ عَبْدِاللهِ بن عَمْرٍو . . . فقال :
« ذَاكَ رَجُلٌ . . . لا أَزَالُ أُحِبُّهُ . . . بَعْدَ ما سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ :
« اِسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ . . .
« مِنْ عَبْدِاللهِ بن مَسْعُودٍ . . .
« فبَدَأَ بِهِ . . .
« وسالِمٍ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ . . .
« وأُبَيِّ بن كعْبٍ . . .
« ومُعاذِ بن جَبَلٍ . . .
« قال : لا أدْرِي بَدَأَ بأُبَيٍّ أو بِمُعَاذٍ » .

[أخرجه البخاري]

« ذُكِرَ عبدُاللهِ » . اراد به عبدالله بن مسعود . . .
« اسْتَقْرِئُوا » أي اطلبوا القراءة من أربعة انفس . . .
« من عبدالله » الى آخره . . . بيان للأربعة . . .
« فبَدَأَ به » أي بعبدالله بن مسعود . . . والتقديم يفيد الاهتمام بالمقدم . . . وتفضيله على غيره . . .

ووجه تخصيص هؤلاء الأربعة هو أنهم كانوا أكثر ضبطا للفظ القرآن... وأتقن للأداء... وان كان غيرهم افقه في المعاني منهم...

وقيل: لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة...

وقيل: لأنه يؤخذ منهم...

وقيل: انه ﷺ اراد الاعلام بما يكون بعده...

« أو بمعاذ » ويروى أو بمعاذ بن جبل.

ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ؟!

« عن عَلْقَمَةَ... قال:

« قَدِمْتُ الشامَ فصَلَّيْتُ ركعتَيْنِ ثمَّ قُلْتُ: اللهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صالِحًا...

« فَأَتيْتُ قوْمًا... فجَلَسْتُ إليْهِمْ...

« فإذا شَيْخٌ قدْ جاءَ حتَّى جَلَسَ إلى جَنْبِي...

« قلتُ: مَنْ هَذَا؟...

« قالوا: أبُو الدَّرْدَاء...

« فقلتُ: إنِّي دعَوْتُ اللهَ أن يُيَسِّرَ لِي جليسًا صالحًا... فيَسَّرَكَ لِي...

« قال: مِمَّنْ أنتَ؟...

« قلتُ: مِنْ أهْلِ الكُوفَةِ...

« قال: أوَ لَيْس عِندَكُمْ ابنُ أُمِّ عَبْدٍ... صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ... والوِسَادِ... والمِطْهَرَةِ؟...

« وفيكُمُ الذي أجارَهُ اللهُ مِنَ الشيطانِ على لسانِ نبِّيهِ ﷺ؟...

« أوَ لَيْسَ فيكُمْ صاحِبُ سِرِّ النبيِّ ﷺ . . . الذي لا يَعْلَمُ أحَدٌ غيرَهُ؟ . . .

« ثمَّ قال: كيْفَ يَقْرَأُ عبدُاللهِ ﴿والليْلِ إذا يَغْشَى﴾(١)؟ . . .

« فقرأْتُ عليْهِ ﴿والليْلِ إذا يَغْشَى ★ والنَّهارِ إذا تجلَّى ★ وما خلق الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾(٢) . . .

« قال: واللهِ لَقَدْ أقْرَأَنِيهَا رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إلى فِيَّ » .

[أخرجه البخاري]

« وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان » المراد به هو عمّار بن ياسر . . .

« أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ » المراد به حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه . . .

« فجلست اليهم » أي حتى انتهى جلوسي اليهم . . .

« قالوا: أبو الدرداء » واسمه عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي . . . الفقيه الحكيم . . . مات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين . . .

« أوليس عندكم ابنُ أُمِّ عَبْدٍ » ؟ . . . أراد به عبدالله بن مسعود . . .

لأن أمّه . . . أمّ عبد . . . بنت عبد ود . . . بن سواء . . .

مات ابن مسعود بالمدينة . . . سنة اثنتين وثلاثين . . .

قيل: كان مراد ابي الدرداء من هذا السؤال انه فهم من علقمة انه قدم دمشق لطلب العلم فقال: أوليس عندكم من العلماء من لا يحتاج الى غيره؟ . . .

« صاحب النعلين » اي نعلي النبي ﷺ . . .

وكان ابن مسعود هو الذي كان يحمل نعلي النبي ﷺ ويتعاهدهما . . .

« والوِسَادِ » وفي رواية السواد . . . ورواية السواد أوجه . . . لأن السواد السِرّار . . . وقال الجوهري: السواد: السِرار . . . تقول ساودته

---

(١) سورة الليل، آية ١ .

(٢) سورة الليل، الآيات ١ ـ ٣ .

مساودة وسوادا أي ساررته... وأصله ادناء سوادك من سواده وهو الشخص...

« والمِطْهَرَة » كل إناء يتطهر به...

وكان النبي ﷺ خصص ابن مسعود بنفسه اختصاصا شديدا...

كان لا يحجبه رسول الله ﷺ اذا جاء...

ولا يخفي عنه سرّه...

وكان يلج عليه...

ويلبسه نعليه...

ويستره اذا اغتسل...

ويوقظه إذا نام...

وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك...

وكان ﷺ يقول: اذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك...

« وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان » يعني عمارا... وأراد به قوله ﷺ: ويح عمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار... وذلك حين أكرهوه على الكفر بسبه ﷺ...

« صاحب سر النبي ﷺ » اراد به حذيفة... فإنه ﷺ أعلمه امورا من أحوال المنافقين... وأمورا من الذي يجري بين هذه الأمة فيما بعده... وجعل ذلك سرّا بينه وبينه...

« كيف يقرأ عبدالله » يعني بن مسعود...

والذَّكَرِ والأُنثَى» اي وكان يقرأ بدون ومَا خَلَقَ... وهذه خلاف القراءة المتواترة المشهورة... ويقال: قرأ عبدالله والذكرِ والأنثى... انزل كذلك... ثم انزل وما خَلَقَ... فلم يسمعه عبدالله ولا ابو الدرداء وسمعه سائر الناس وأثبتوه...

سادس سِتَّة ؟!

وجاء في صحيح البخاري:

[بابُ مَناقبِ عبدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.]

أي هذا باب في بيان مناقب عبدالله بن مسعود... بن غافل... بن حبيب... بن شمخ... بن مخزوم...

وأُمّه... أمّ عبد... بنت عبد ود... بن سوا من هُذَيل أيضا... أسلمت وصَحِبَت أيضا...

وأبوه مات في الجاهلية...

وعبدالله أسلم قديما...

وقد روى ابن حبان من طريقه أنه كان سادس ستة في الاسلام...

وهاجر الهجرتين...

وشهد بدرا...

والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ...

وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ...

مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين... وهو ابن بضع وستين سنة...

أقْرَبَ... هَدْيًا... بالنبيِّ ﷺ ؟!

« عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ... قال:

« سألْنا حُذَيْفَةَ عنْ رجُلٍ قَريبِ السَّمْتِ والهَدْيِ مِنَ النبيِّ ﷺ حتّى نَأْخُذَ عنهُ...

« فقال:

« ما أعْرِفُ أحَدًا...

« أقْرَبَ سَمْتًا ...
« وهَدْيًا ...
« ودَلًّا ...
« بالنبيِّ ﷺ ...
« مِن ابنِ أُمِّ عَبْدٍ » .

[أخرجه البخاري]

« السَّمْت » الهيئة الحسنة...

« الهَدْي » الطريقة والمذهب...

« الدَلّ » الشكل والشمائل... وكأنه مأخوذ مما يدل ظاهر حاله على حسن فعاله...

« ابنِ أُمِّ عَبْدٍ » هو عبدالله بن مسعود... وهو اسم أُمّه...

خصوصيته بملازمة النبي ﷺ ؟!

« حدّثني الأَسْوَدُ بنُ يَزيدَ... قال:
« سَمِعتُ أبا مُوسى الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه يقولُ:
« قدِمْتُ أنا وأخِي مِنَ اليَمَنِ ... فمكَثْنا حينًا ما نَرَى إلَّا أنَّ عبْدَاللهِ بنَ مَسْعُودٍ... رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِ النبيِّ ﷺ ...
« لِمَا نَرَى مِن دُخُولِهِ ودُخُولِ أُمِّهِ على النبيِّ ﷺ » .

[أخرجه البخاري]

« لِما نرى» أي لأجل رؤيتنا دخول عبدالله بن مسعود... ودخول أُمّه... على النبي ﷺ...

وذلك يدل على خصوصية بملازمة النبي ﷺ ...

وفيه دلالة على فضله وخيره...

هذا ... هو؟!

« قال عبْدُاللهِ بنُ عَمْرٍو ...
« إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ... لم يَكُن فاحِشًا وَلا مُتَفَاحِشًا ...
« وقال: إنَّ مِنْ أحَبِّكُم إلَيَّ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقًا ...
« وقال: اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ ...
« مِن عَبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ ...
« وسالِمٍ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ ...
« وأُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ ...
« ومُعاذِ بنِ جَبَلٍ » .

أخرجه البخاري]

« فاحشا » أي متكلما بالقبيح...
« ولا متفاحشا » أي ولا متكلفا للتكلم به...

★ ★ ★

أقول: « مِنْ أرْبَعَةٍ ... مِنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعُود ... »
« فَبَدَأَ بِهِ؟! ... كما قال عبدالله بن عمرو في حديث سابق ...
فأي شرَف مِثْل هذا الشرَف؟!!

فضائل . . .
عبدالله بن مَسْعُود . . .
مِن صحيح مُسْلِم . . .؟!

أنتَ مِنْهُم ؟!

« عَنْ عَلْقَمَةَ . . .
« عنْ عَبْدِاللهِ . . . قالَ:
« لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ . . .
﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا . . .﴾[1]
« إلى آخِرِ الآيَةِ . . .
« قالَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ . . .
« قِيلَ لِي:
« أنْتَ مِنْهُمْ » .

[أخرجه مسلم]

« أنتَ مِنْهم » معناه أن ابن مسعود منهم . . .

★ ★ ★

اقول: ومَن القائل ؟!
إنَّه رسول الله ﷺ . . .
هنيئًا لكَ يا ابن مسعود !!!

(١) سورة المائدة، آية ٩٣ .

أبو موسى كان يظنّ أنّ ابن مسعود من أهل البيت؟!

« عن أبي مُوسَى... قال:
« قَدِمْتُ أنا وأخِي مِنَ اليَمَنِ... فكُنَّا حِينًا... وما نُرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وأُمَّهُ إلَا مِنْ أهْلِ بَيْتِ رسولِ اللهِ ﷺ...
« مِن كثْرَةِ دُخُولِهِمْ ولُزُومِهِمْ لَهُ ».

[أخرجه مسلم]

أما قوله (كُنَّا) فمعناه مكثنا...

وقوله (حينًا) أي زمانا...

قال الشافعي وأصحابه ومحققو أهل العلم وغيرهم... الحين يقع على القطعة من الدهر طالت أم قصرت...

وقوله (ما نُرَى) أي ما نظنّ...

وقوله (دخولهم ولزومهم) جمعهما وهما اثنان هو وأُمّه لأن الاثنين يجوز جمعهما بالاتفاق...

يَشْهَدُ إذَا غِبْنَا؟!

« عن أبي إسحاقَ... قال:
« سَمِعْتُ أبَا الأَحْوَصِ... قال: « شَهِدْتُ أبَا مُوسَى وأبَا مَسْعُودٍ حينَ ماتَ ابنُ مسعُودٍ...
« فقال أحدُهُما لصاحِبِهِ: أتُرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟...
« فقالَ: إنْ قُلْتَ ذاكَ... إنْ كانَ ليُؤْذَنُ لهُ إذَا حُجِبْنَا...
« ويَشْهَدُ إذَا غِبْنَا ».

[أخرجه مسلم]

أعْلَمَ الناسِ بما أَنْزَلَ اللهُ؟!

« عن أبي الأَحْوَصِ ... قال:
« كُنَّا في دارِ أبي موسَى ...
« مع نَفَرٍ مِنْ أَصحابِ عبْدِاللهِ ...
« وهم يَنظُرُونَ في مُصْحَفٍ ...
« فقامَ عَبْدُاللهِ ...
« فقالَ أبو مسعُودٍ: ما أَعْلَمُ رسولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أعْلَمَ بمَا أنْزَلَ اللهُ مِنْ هَذَا الْقَائِمِ؟ ...
« فقال أبو موسَى: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ ... لَقَدْ كانَ يَشْهَدُ إذا غِبْنَا ... ويُؤْذَنُ لَهُ اذَا حُجِبْنَا » .

[أخرجه مسلم]

لَقَدْ عَلِمَ أصْحَابُ رسولِ اللهِ أَنِّي أعْلَمُهُمْ بكتابِ اللهِ؟!

« عن شقيقٍ ...
« عن عبدِاللهِ ... أنَّهُ قالَ:
« وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ثمَّ قالَ:
« عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟! ...
« فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وسَبْعِينَ سُورَةً ...
« وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رسُولِ اللهِ ﷺ ...
« أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بكتابِ اللهِ ...
« وَلَوْ أَعْلَمُ أنَّ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي لَرَحَلْتُ إليْهِ ...

« قالَ شَقِيقٌ: فجَلَسْتُ في حِلَقِ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فما سَمِعْتُ أحَدًا يَرُدُّ ذلِكَ عَلَيْهِ وَلا يَعِيبُهُ » .

[أخرجه مسلم]

هو مختصر مما جاء في غير هذه الرواية...

معناه أن ابن مسعود كان مصحفه يخالف مصحف الجمهور...

وكانت مصاحف أصحابه كمصحفه...

فأنكر عليه الناس... وأمروه بترك مصحفه... وبموافقة مصحف الجمهور...

وطلبوا مصحفه أن يحرقوه كما فعلوا بغيره...

فامتنع... وقال لأصحابه: غلوا مصاحفكم... أي اكتموها... ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة...

يعني فإذا غللتموها جئتم بها يوم القيامة... وكفى لكم بذلك شرفا...

ثم قال على سبيل الانكار: وَمَن هو الذي تأمرونني أن آخذ بقراءته وأترك مصحفي الذي أخذته من في رسول الله ﷺ ؟!...

قوله: « ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله... ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني لرحلت اليه... قال شقيق: فجلست في حِلَق أصحاب محمد ﷺ فما سمعت أحدًا يردّ ذلك عليه ولا يعيبه » الحِلَق... وهو جمع حَلْقة...

وفي هذا الحديث جواز ذكر الانسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة...

وأما النهي عن تزكية النفس فإنما هو لمن زكاها ومدحها لغير حاجة... بل للفخر والإعجاب...

وقد كثرت تزكية النفس من الأماثل عند الحاجة كدفع شرّ عنه بذلك... أو تحصيل مصلحة للناس... أو ترغيب في أخذ العلم عنه... أو نحو ذلك...

فمن المصلحة قول يوسف ﷺ: ﴿اجْعَلْني على خَزَائِنِ الأَرْضِ إنّي حفيظٌ عليمٌ﴾[1].

ومن دفع الشرّ قول عثمان رضي الله عنه في وقت حصاره أنه جهز جيش العُسرة وحضر بئر رومة...

ومن الترغيب قول ابن مسعود هذا...

وقول سهل بن سعد: ما بقي أحد أعلم بذلك مني...

وقول غيره: على الخبير سقطت وأشباهه...

وفيه استحباب الرحلة في طلب العلم... والذهاب الى الفضلاء حيث كانوا...

وفيه أن الصحابة لم ينكروا قول ابن مسعود أنه أعلمهم...

والمراد أعلمهم بكتاب الله كما صرح به...

فلا يلزم منه أن يكون أعلم من أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ... وغيرهم بالسُّنة...

ولا يلزم من ذلك أيضاً أن يكون أفضل منهم عندالله تعالى...

فقد يكون واحدًا أعلم من آخر بباب من العلم أو بنوع... والآخر أعلم من حيث الجملة...

وقد يكون واحد أعلم من آخر وذاك أفضل عندالله... بزيادة تقواه وخشيته وورعه وزهده وطهارة قلبه وغير ذلك...

ولا شك أن الخلفاء الراشدين الأربعة كل منهم أفضل من ابن مسعود...

مَا مِنْ كتَابِ اللهِ سُورَةٌ... إلَّا أنَا أعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ؟!

« عَنْ مَسْرُوقٍ...

« عَنْ عَبْدِاللهِ... قالَ:

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٥.

« وَالَّذي لا إلهَ غَيْرُهُ...
« مَا مِنْ كتابِ اللهِ سُورَةٌ...
« إلَّا أنَا أعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ...
« وَمَا مِنْ آيَةٍ إلَّا أنَا أعْلَمُ فِيما أُنْزِلَتْ...
« وَلَوْ أَعْلَمُ أحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بكتابِ اللهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإبِلُ لرَكِبْتُ إليْهِ».

[أخرجه مسلم]

★ ★ ★

اقول: فكيف كان عِلْم ابن مسعود ؟!!!

رَجُلًا... لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ ؟!

« عَنْ مَسْرُوقٍ... قالَ:
« كُنَّا نَأْتِي عبْدَاللهِ بنَ عَمْرٍو... فنتحدَّثُ إليْهِ...
« وقال ابنُ نُمَيْرٍ: عِنْدَهُ...
« فذَكَرْنا يَوْمًا عبْدَاللهِ بنَ مَسْعُودٍ...
« فقالَ: لَقَدْ ذَكَرْتُمْ رَجُلًا... لَا أزَالُ أُحِبُّهُ...
« بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ...
« سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:
« خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أرْبَعَةٍ...
« مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ...
« فَبَدَأَ بِهِ...
« ومُعَاذ بن جَبَلٍ...

« وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ...
« وسَالِمٍ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ » .

[أخرجه مسلم]

قال العلماء :

سببه أن هؤلاء أكثر ضبطًا لألفاظه... وأتقن لأدائه...

وان كان غيرهم أفقه في معانيه منهم... أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه... ﷺ... مشافهة وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض...

أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم...

أو أنه ﷺ أراد الاعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ... مِن تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم...

وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم.

الخطوط العريضة . . .
مِن حياة . . .
ابن مَسعُود . . . ؟!

جاء في « أُسْد الغابة ـ في معرفة الصحابة » :

عبدالله بن مَسعُود ؟!

عبدُالله بنُ مَسْعُودٍ . . .
ابن غَافِل . . . بن حَبِيب . . . بن شَمْخٍ . . . بن فَار . . . بن مَخْزُوم . . . بن صَاهِلَة . . . بن كاهِل . . . بن الحارث . . . بن تَمِيمٍ . . . ابن سَعْد . . . بن هُذَيل . . . بن مُدْرِكَةَ . . . بن إلياس . . . بن مُضَر . . .
أبو عبدالرحمن الهُذَلي . . .
حليف بني زهرة . . .
كان أبوه « مسعود » قد حالف في الجاهلية عبدَ بن الحارث بن زَهْرَة . . .

أُمّ عَبْد ؟!

وأُمّ عبدالله بن مسعود . . .
أُمّ عَبْد . . .
عَبْد بنت عَبْد ود . . . بن سَوَاء من هُذَيْل أيضا . . .

سادس ستّة ؟!

كان إسلامه قديمًا... أول الإسلام... حين أسلم سعيد بن زَيْد وزوجته فاطمة بنت الخطاب...

وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان...

روى الأعمش... عن القاسم بن عبدالرحمن... عن أبيه قال: قال عبدالله:

« لقد رَأَيْتُني سادسَ سِتة...

« ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا ».

سبب إسلامه ؟!

وكان سبب إسلامه:

« عن عبدالله بن مسعود قال:

« كنت غلاما يافِعًا في غنم لعُقْبَة بن أبي مُعَيْط... أرعاها...

« فأتى النبي ﷺ ومعه أبو بكر... فقال:

« يا غلام... هل معك من لبن ؟...

« فقلت: نعم... ولكني مُؤْتَمَن !...

« فقال: ائتني بشاة لم يَنْزُ عليها الفَحْل...

« فأتيته بعَنَاق - أو جَذَعَة - « فاعتقلها رسول الله ﷺ...

« فجعل يمسَحُ الضَّرْع...

« ويَدْعُو... حتى أنزلت!!!

« فأتاه أبو بكر بصَخْرَة فاحتلب فيها[1]...

---

(١) في مسند الإمام أحمد... عن عبدالله بن مسعود « ثم أتاه ابو بكر رضي الله عنه بصخرة منقعرة فاحتلب فيها.

« ثم قال لأبي بكر: اشرب...
« فشرب أبو بكر!!!
« ثم شرب النبي ﷺ بعده!!!
« ثم قال للضَّرع: أقْلِص[1]...
« فقَلصَ... فعاد كما كان!!!
« تم أتيت فقلت: يا رسول الله... علمني من هذا الكلام ـ أو من هذا القرآن ـ.
« فمسح رأسي وقال: إنك غلام مُعَلَّم...
« قال: فلقد أخذت منه سبعين سُورَةً... ما نازعني فيها بشر».

أوّل مَن جهر بالقرآن بمكّة؟!

« عن محمد بن إسحاق... قال:
« حدثني يحيى بن عروة بن الزبير... عن أبيه... قال:
« كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ...
« عبدَ الله بن مسعود...
« اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سَمِعَتْ قُرَيش هذا القرآن يُجْهَرُ لَهَا به قَطّ... فمن رجلٌ يُسْمِعُهم؟...
« فقال عبدالله بن مسعود: أنَا...
« فقالوا: إنا نخشاهم عليك... إنما نريد رجلًا له عشيرةٌ تمنعه من القوم إن أرادوه!...
فقال: دَعُوني... فإن الله سيمنعني...

(١) أقْلِص: اجتمِع.

« فغدا عبدالله حتى أتى المقام في الضُّحَى . . . وقريش في أنديتها . . .
« حتى قام عند المقام . . . فقال رافعا صوته :
﴿ بسمِ الله الرحمنِ الرحيم .
﴿ الرحمَنُ ★
﴿ علَّمَ القُرْآنَ ﴾[1] .
« فاستقبلها فقرأ بها . . .
« فتأملوا . . . فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أُمّ عبْد ؟! . . .
« ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد !!!
« فقاموا . . . فجعلوا يضربون في وجهه !!!
« وجعل يقرأ . . . حتى بلغ منها ما شاءَ الله أن يبلغ !!!
« ثم انصرفَ إلى أصحابه . . . وقد أثَّروا بوجهه !!!
« فقالوا : هذا الذي خشينا عليك ! . . .
« فقال : ما كان أعداءُ الله قط أهونَ عليَّ منهم الآن . . .
« ولئن شئتم غَادَيْتُهم بمثلها غدًا ؟!
« قالوا : حَسْبُك . . . قد أسمعتهم ما يكرهون » .

كان يخدمه ؟!

ولمَّا أسلم عبدالله أخذه رسول الله ﷺ . . .
وكان يخدمه . . .
وقال له : إذْنُكَ عَلَيَّ أن تسمع سِوادي[2] ويُرْفَعَ الحجاب . . .

(١) سورة الرحمن، الآيتان ١ - ٢.
(٢) السِواد المراد به السرار... وهو السرّ .. يقال: ساودت الرجل مساودة: إذا ساررته. . قالوا: هو مأخوذ من إدناء سوادك من سواده عند المسارة.. أي: إدناء شخصك من =

صاحب السِّوَادِ والسِّواك ؟!

فكان يلجُ عليه!!!
ويُلْبِسُه نَعْلَيْه!!!
ويمشي معه وأمامه!!!
ويستره إذا اغتسل!!!
ويوقظه إذا نام!!!
وكان يعرف في الصحابة بصاحب السِّوَادِ[1] والسِّواك!!!

قال لي رسول الله ؟!

« عن عبدالله قال: قال لي رسول الله ﷺ :

« إذنك عليَّ... أن يُرْفَعَ الحجاب... وتسمع سِوَادِي حتى أنهاك » .

شهد سائر المشاهد ؟!

وهاجر الهجرتين جميعا... الى الحبشة... وإلى المدينة...
وصلى القبلتين...
وشهد بدْرا...
وأُحُدا... والخندق... وبيعة الرضوان...

= شخصه... وقال عبدالله بن الإمام أحمد: قال أبي: « سوادي: سري، أذن له أن يسمع سره».

(١) صاحب السِّوادِ: صاحب السِّرّ.

وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ...
وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ ...
وهو الذي أجهز على أبي جهل ...
وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ...
وروى عن النبي ﷺ ...
روى عنه من الصحابة:
ابن عباس ... وابن عمر ... وأبو موسى ... وعمران بن حُصَين ... وابن الزبير ... وجابر ... وأنس ... وأبو سعيد ... وأبو هريرة ... وأبو رافع ... وغَيرهم ...
وروى عنه من التابعين:
علقمة ... وأبو وائل ... والأسود ... ومسروق ... وعبيدة ... وقيس بن أبي حازم ... وغيرهم ...

اقْرَأْ عَلَيَّ سورةَ النساء؟!

« قال ابن مسعود:
« قال لي رسول الله ﷺ:
« اقرَأْ عَلَيَّ سُورةَ النساء ...
« قال: قلت: أَقرأُ عليك ... وعليك أُنْزِل؟ ...
« قال: إني أُحبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْري ...
« فقرَأت عليه حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1] ... إلى آخر الآية ... فاضَت عَيناه ﷺ ».

(١) سورة النساء، آية ٤١.

تمسكوا بعهد ابن أُمِّ عَبْد ؟!

« عن حذيفة . . . قال :

« قال رسول ﷺ : وتمسكوا بعهد ابن أُمِّ عبْد »[1] .

لماذا ظنّوا أنه مِن أهل البيت؟!

« عن الأسود بن يزيد أنه سمع أبا موسى يقول :

« لقد قدمت أنا وأخي من اليمن . . . وما نُرَى[2] إلا أن عبدالله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ . . .

« لِمَا نَرَى من دخوله ودخول أُمّه على النبي ﷺ » .

الشَّرَف الأعظم ؟!

« أتينا حذيفة فقلنا :

« حدثنا بأقرب الناس مِن رسول الله ﷺ . . . هَدْيًا ودَلًّا . . . فنأخذ عنه . . . ونسمع منه . . .

« كان أقربُ الناس هَدْيًا ودَلًّا وسَمْتًا . . . برسول الله ﷺ . . . ابنَ مسعُودٍ[3] . . .

(١) أخرج الإمام أحمد نحوه : « بينا نحن عند رسول الله ﷺ قال : « إني لست أدري ما قدر بقائي فيكم . . . فاقتدوا باللذين من بعدي - يشير إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - . . . واهدوا هدي عمار . . . وعهد ابن أمّ عبد - رضي الله عنهما .

(٢) ما نُرَى : لا نظن . . .

(٣) هدْيا : طريقة وسيرة . ودَلاً : حالة وهيئة . والسمْت : الهيئة الحسنة .

« حتى يتوارى منا في بيته . . .

« ولقد علم المحفُوظُون[1] من أصحاب محمد أن ابن أُمّ عبْد هو من أقربهم إلى الله زُلْفَى » .

ترشيحه للإمارة ؟ !

« عن عليّ رضى الله عنه قال:

« قال رسول الله ﷺ :

« لو كنت مُؤمِّرًا أحَدًا . . .

« من غير مَشُورة . . .

« لأَمَّرْتُ ابنَ أُمّ عبْد » .

مقاتلٌ أبَدًا ؟ !

ومن مناقبه . . .

أنه بعد وفاة رسول الله ﷺ . . . شهد المشاهد العظيمة . . . منها : أنه شهد اليرموك بالشام . . . وكان على النَّفَل . . .

شهادة الفاروق ؟ !

وسيَّره عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة . . .

وكتب إلى أهل الكوفة :

« إني قد بعثت عمارَ بن ياسر أميرًا . . .

---

(١) المحفوظون : الذين حفظهم الله من تحريف في قول أو فعل.

« وعبدالله بن مسعود مُعَلِّمًا ووزيرًا ...
« وهما من النُّجَبَاء ... من أصحاب رسول الله ﷺ ...
« من أهل بدر ...
« فاقتدُوا بهما ...
« وأطيعوا واسمعوا قَوْلَهُما ...
« وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي » !!!

رِجْل ابن مسعود ... أثقل في الميزان ... مِن أُحُد ؟!

« عن أم موسى ... قالت:
« سمعت عليًا يقول:
« أمر النبي ﷺ ابنَ مَسْعود ...
« فصَعِد على شجرة يأتيه منها بشيء ...
« فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله ...
« فضحِكوا من حُمُوشَةِ سَاقَيْه[1] ...
« فقال رسول الله ﷺ : ما تَضحَكُون ؟ ...
« لَرِجْلُ عبدالله أثْقَلُ في الميزان يوم القيَامة من أُحُد » .

شهادة الإمام عليّ ؟!

« عن حبة بن جُوَين ...
« عن عليّ ... قال:
« كنا عنده جلوسا ... فقالوا:

(١) حموشة ساقية: دقتهما.

« ما رأينا رجلا أحسن خُلُقًا . . .
« ولا أرفق تعليما . . .
« ولا أحسن مجالسة . . .
« ولا أشد وَرَعًا . . .
« من ابن مسعود . . .
« قال عليّ:
« أُنشدُكُم الله أهو الصدق من قلوبكم ؟ . . .
« قالوا : نعم . . .
« قال : اللهم اشهد أني أقول مثل ما قالوا . . . وأفضل »[1] .

أعلمهم بكتاب الله ؟ !

قال أبو وائل:

« لما شَقّ عثمان رضي الله عنه المصاحف. . . بلغ ذلك عبدَالله فقال:

« لقد علم أصحابُ محمد أني أعلمهم بكتاب الله . . .

« وما أنا بخيرهم . . .

« ولو أني أعلم أن أحدا أعلمُ بكتاب الله مني تبَلِّغُنِيه الإبلُ لأتَيْتُه . . .

فقال أبو وائل: فقمت إلى الخلْق أسمع ما يقولون . . . فما سمعت أحدًا من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه » .

(١) أخرجه الحاكم. . . ونصه:
« أن ناسًا أتوا عليًا. . . فأثنوا على عبدالله بن مسعود. . . فقال: أقول فيه مثل ما قالوا. . . وأفضل من قرأ القرآن. . . وأحل حلاله. . . وحرم حرامه. . . فقيه في الدين. . . عالم بالسُّنة ».

عُمر يضاحك ابن مسعود ؟!

وقال زيد بن وَهْب:
« إني لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود . . .
« يكاد الجُلُوسُ يوارونه من قِصَره . . .
« فضحك عُمر حين رآه . . .
« فجعل يكلم عُمَر . . . ويضاحكه . . . وهو قائم . . .
« ثم ولَّى . . .
« فأتبعه عُمر بصرَه . . . حتى توارى فقال:
« كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْمًا[1] .

له دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحْل

وقال عُبَيْدالله بن عبدالله :
« كان عبدُ الله إذا هَدَأَت العيونُ . . .
« قام . . .
« فسمعتُ له دَوِيًّا كدَوِيِّ النَّحْلِ حتى يُصْبح » .

يا ابن مسعود . . . هَلُمَّ إِلَيَّ ؟!

وقال سلمة بن تمام:
« لقي رجلٌ ابن مسعود فقال:
« لا تَعْدَمُ حَالمًا مُذَّكِرًا . . .

---

(١) كُنَيْف: تصغير كِنْف . . . والكِنْف: هو الوعاء . . . والمقصود بالتصغير هنا التعظيم.

« رأيتُكَ البارحة . . .
« ورأيت النبي ﷺ . . . على مِنبَر مرتفع . . .
« وأنتَ دُونَه . . .
« وهو يقول :
« يا ابن مسعود . . . هَلُمَّ إليَّ . . .
« فلقد جُفِيت بعدِي . . .
« فقال : اللهِ لأَنْت رأيتَ هذا ؟! . . .
« قال : نَعَمْ . . .
« قال : فعَزَمْت أنْ تخرجَ من المدينةِ حتى تُصَلِّي عليّ . . .
« فما لبثَ أيّامًا حتى مات » .

عثمان يعود ابن مسعود . . . في مرضه ؟!

وقال أبو ظبية :
مرض عبدالله . . . فعاده عثمان بن عفان . . .
فقال : ما تشتكي ؟ . . .
قال : ذنوبي ! . . .
قال : فما تشتهي ؟ . . .
قال : رحمة ربي ! . . .
قال : ألا آمُرُ لك بطبيب ؟ . . .
قال : الطبيبُ أمْرَضَنِي ! . . .
قال : ألا آمرُ لك بعطاءٍ ؟ . . .
قال : لا حاجة لي فيه . . .
قال : يكون لبناتك . . .

قال: أتخشى على بناتيِ الفقر؟... إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة...

«إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ قرأ الواقعة كلَّ ليلة لم تُصبْهُ فاقةٌ أبدًا».

وإنما قال له عثمان: ألا آمر لك بعطائك؟...

لأنه كان قد حبسه عنه سنتين...

فلما توفي أرسله إلى الزبير... فدفعه الى ورثته...

وقيل: بل كان عبدالله ترك العطاء استغناءً عنه... وفعل غيره كذلك...

يرفض الخروج على عثمان؟!

عن زيد بن وهب قال:

لما بعث عثمان إلى عبدالله بن مسعود يأمره بالقُدُوم عليه بالمدينة... وكان بالكوفة...

اجتمع الناس عليه فقالوا: أقم... ونحن نمنعك أن يَصل إليك شيءٌ تكرهه...

فقال عبدالله: «إنّ له عليّ حقَّ الطاعة... وإنها ستكون أمورٌ وفِتَنٌ... فلا أحب أن أكون أول من فتحها»...

فردَّ الناس وخَرَج إليه...

ما ترك بعده مِثله؟!

وتوفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين...

وأوصى إلى الزبير رضي الله عنهما...

ودُفِن بالبقيع...

وصلى عليه عثمان...

وقيل: صلى عليه عَمَّار بن ياسر...

وقيل: صلى عليه الزبيرُ... ودفنه ليلا أوصى بذلك...

وقيل: لم يعلم عثمان رضي الله عنه بدفنه... فعاتب الزبير على ذلك...

وكان عمره يوم توفي بضعا وستين سنة...

ولما مات ابن مسعود نُعِي إلى أبي الدرداء...

فقال:

« ما تَرَكَ بعده مِثله » !!!

متى . . .
أسلم . . .
ابن مسعود . . . ؟!

جاء في سيرة ابن هشام[1] :

١ - وآمنت به خديجة بنت خويلد . . . وكانت أول مَن آمن بالله وبرسوله . . .

٢ - ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ . . . عليّ بن أبي طالب . . . وهو يومئذ ابن عشر سنين . . .

٣ - ثم أسلم زيد بن حارثة . . . وكان أول ذكر أسلم . . . وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب . . .

٤ - ثم أسلم أبو بكر . . . فجعل يدعو الى الله وإلى الاسلام . . .

٥ - فأسلم بدعائه عثمان بن عفان . . .

٦ - والزبير بن العوام . . .

٧ - وعبدالرحمن بن عوف . . .

٨ - وسعد بن أبي وقاص . . .

٩ - وطلحة بن عبيدالله . . .

فجاء بهم الى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا . . .

١٠- ثم أسلم أبو عبيدة بن الجرّاح . . .

---

(١) الترقيم وضعناه للتيسير على القارئ .

١١- والأرقم بن أبي الأرقم...
١٢- وعثمان بن مظعون...
١٣- وأخواه قدامة...
١٤- وعبدالله... ابنا مظعون...
١٦- وعبيدة بن الحارث...
١٧- وسعيد بن زيد...
١٨- وامرأته فاطمة بنت الخطاب...
١٩- وأسماء بنت أبي بكر...
٢٠- وعائشة بنت أبي بكر...
٢١- وخباب بن الأرت...
٢٢- وعمير بن أبي وقاص...
٢٣- وعبدالله بن مسعود...» الخ.

ما معنى هذا؟!

معناه أن عبدالله بن مسعود من أسبق السابقين الى الاسلام...

وفي رواية عنه:

« لقد رأيتُني سادسَ سِتة...

« ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا »!!!

أسلم في مرحلة الاستخفاء بدار الأرقم...

قالوا:

« وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم... كان النبي ﷺ مستخفيا من قريش بمكة... يدعو الناس فيها إلى الاسلام في أول الاسلام... حتى خرج عنها...

« وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم بمكة على الصفا...

« فاسلم فيها جماعة كثيرة...

« وكان رسول الله ﷺ في دار أبي الأرقم عند الصفا ...

« حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلما ...

« وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب ...

« فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا ... » .

وقال ابن هشام:

« ثم دخل الناس في الإسلام أرسالًا من الرجال والنساء ...

« حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ... وتُحدّث به ...

« ثم إن الله عز وجلّ أمر رسولَه ﷺ أن يصدع بما جاءه منه... وأن يباديَ الناسَ بأمره... وأن يدعوَ إليه ...

« وكان بين ما أخفَى رسولُ الله ﷺ أمرَه... واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين - فيما بلغني - من مبعثه... » .

كم كان سنّ عبدالله بن مسعود حين أسلم؟ ...

بداية كان في مطلع شبابه... في تلك المرحلة من العمر التي يتطلع فيها الشباب الى كل جديد ... اي كان غلامًا!!!

ومن حيث أنه توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين... وكان عمره يوم توفي بضعا وستين سنة ...

فيكون عمره يوم أسلم نحو عشرين سنة أو تزيد قليلا ... أي أنه عاش في الاسلام ...

١٢ سنة بمكة حتى هاجر
٣٢ سنة بالمدينة

٤٤ سنة مسلما .

ومن حيث انه توفي عن بضع وستين سنة ...

ربما كان فى الخامسة والستين... فيكون عمره بوم أسلم عشرين سنة أو احدى وعشرين!!!

★ ★ ★

ثم أقول:

في تلك المرحلة الشاقة الشـدبـدة مـن الدعـوه أسلـم عبـدالله بـن مسعود...

أسلم الغلام اليافع إسلام الرجال... إسلام الأبطال...

حيث لا وَرْد ولا ريحان... وإنما هو تعذيب واضطهاد!!!

أوّل . . .
مَن جَهر . . .
بالقُرْآن . . . ؟!

جاء في سيرة ابن هشام:

« كان أوّل من جَهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة . . . عبدُ الله بن مَسْعود . . . رضي الله عنه . . .

« قال: اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله ﷺ . . . فقالوا:

« والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهر لها به قطُّ . . .

فمَنْ رجُل يُسْمِعهموه؟ . . .

« فقال عبدالله بن مَسْعود: أنا . . .

« قالوا: إنَا نخشاهم عليك . . . إنما نريد رجلًا له عشيرةٌ يمْنعونه من القوم إن أرادوه . . .

« قال: دَعُوني فإن الله سيَمْنعني . . .

« قال: فغدا ابنُ مَسْعود حتى أتى المقام في الضُّحى . . . وقريشٌ في أنْديتها . . . حتى قام عند المقام ثم قرأ:

﴿بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ﴾ . . .

« رافعا بها صوته . . .

﴿الرَّحْمَنُ ★ .

﴿عَلَّمَ القُرآنَ﴾[1] .

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان ١ - ٢.

« قال: ثم استقبلها يقرؤها . . .
« قال: فتأمَّلوه فجعلوا يقولون:
ماذا قال ابنُ أمّ عبد؟!. . .
« قال: ثم قالوا: إنه ليَتْلو بعضَ ما جاء به محمد!!!
« فقاموا إليه . . .
« فجعلوا يَضْربون في وجهه . . .
« وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء اللهُ أن يبلغ!!!
« ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه!!!
« فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك . . .
« فقال: ما كان أعداءُ الله أهونَ عليّ منهم الآن . . .
« ولئن شئتم لأغادينَّهمْ بمثلها غدًا!!!
« قالوا: لا . . . حسبُك . . . قد أسمعتَهم ما يكرهون» .

عبدالله بن مسعود . . .
يهاجر . . .
إلى الحبشة . . .
ثمَّ يعود . . .؟!

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء . . .

قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبَشة . . . فإنّ بها مَلِكا لا يُظلم عنده أحد . . . وهي أرض صِدْق . . . حتى يجعل الله لكم فرجا . . . مما أنتم فيه . . .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة . . . مخافة الفتنة . . . وفرارًا إلى الله بدينهم . . .

فكانت أوّل هجرة كانت في الاسلام . . .

وكان من الذين هاجروا الى الحبشة من بني هُذَيل:

« عبدُالله بن مَسْعود . . . بن الحارث . . . بن شَمْخ . . . بن مَخْزوم . . . ابن صاهلة . . . بن كاهل . . . بن الحارث . . . بن تميم . . . بن سعد . . . ابن هُذَيْل . . .

« وأخوه: عتبة بن مَسْعود » .

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة . . . وهاجر إليها من المسلمين . . . سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارًا وولدوا بها . . . ثلاثة وثمانين رجلا . . .

* * *

ابن مسعود يعود من الحبشة ؟!

ثم جاء في سيرة ابن هشام:

« وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ ... الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ... إسلامُ أهل مكة ...

« فأقبلوا لمَا بلغهم من ذلك ... حتى إذا دَنَوْا من مكة ... بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ...

« فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفيا ...

« فكان ممَّن قدِم عليه مكةَ منهم ...

« فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ... فشهد معه بدْرًا وأُحُدًا ...

« ومَنْ حُبس عنه حتى فاته بدرٌ وغيرُه ...

« ومن مات بمكة ... »

ثم جعل يعدد مَن عاد من الحبشة حتى قال:

« ومن بنى زُهْرة بن كِلاب: عبدالرحمن بن عَوْف ...

« والمِقْدادُ بن عمرو ... حليف لهم ... « وعبدُالله بن مسعود ... حليف لهم » .

ابن مسعود . . .
مهاجرًا . . .
الى المدينة . . . ؟ !

فلمّا أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب . . .

« وبايعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصرة له ولمن اتبعه . . .

« وأوى إليهم من المسلمين . . .

« أمر رسول الله ﷺ أصحابَه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكه من المسلمين . . . بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها . . . واللحوق بإخوانهم من الأنصار . . .

« وقال : إن الله عز وجلّ قد جعل لكم إخوانا ودارًا تأمنون بها . . .

« فخرجوا أرْسالًا (جماعة في إثر جماعة)

« وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة . . . » .

ثم هاجر ﷺ الى المدينة . . . وكان ما كان مما هو معلوم . . .

الزبيرُ بن العوّام . . . وعبدالله بن مسعود . . . أخوَيْن ؟ !

« المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

« وآخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار . . .

To: www.al-mostafa.com

« فقال: تآخَوْا في الله أخَوَيْن أخوين . . .

« ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب . . . فقال: هذا أخي . . .

« فكان رسولُ الله ﷺ . . . وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه . . . أخَوَيْن . . .

« وكان حمزةُ بن عبد المطلب . . . وزيدُ بن حارثة . . . مولى رسول الله ﷺ . . . أخَوَيْن . . . »

[ثم جعل يعدد أسماء مَن تآخوا حتى قال] :

« . . . الزبير . . . وعبدُ الله بن مسعود . . . حليف بني زهرة . . . أخَوَيْن . . . » .

في معركة بَدْر ...
ابن مسعود يقتل ...
أبا جهل ... ؟!

تم كانت غزوة بدر العظمى ...
فماذا كان من عبدالله بن مسعود ؟!
جاء في سيرة ابن هشام:
« فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوّه ...
« أمر بأبي جَهْل أن يُلتمس في القَتْلى ...

أوّل مَن لَقِي أبا جهل ؟!

« وكان أوّلَ من لَقِي أبا جهلٍ ...
« قال مُعاذ بن عمرو بن الجموح:
« سمعتُ القومَ وأبو جهل في مثل الحَرَجة ...
« ـ قال ابن هشام: الحَرَجة: الشجر الملتفّ. وفي الحديث عن عمر بن الخطّاب: أنه سأل أعرابيًّا عن الحَرَجة، فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها ـ.
« وهم يقولون:
« أبو الحَكم لا يُخلص إليه.
« قال: فلما سمعتُها جعلته من شأني ...

« فصَمَدْت نحوه . . .

« فلما أمْكنني حملتُ عليه . . .

« فضربتهُ ضربة أطنَّت[1] قدمَه بنصف ساقه . . .

« فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيحُ[2] من تحت مِرْضخة[3] النَّوى حين يُضرب بها . . .

« قال: وضربني ابنُه عِكْرمة على عاتقي . . . فطَرَح يدي . . . فتعلّقت بجلْدة من جَنْبي . . .

« وأجْهَضني[4] القتال عنه . . .

« فلما قاتلتُ عامَّةَ يومي . . .

« وإني لأسْحبُها خَلْفي . . .

« فلما آذتْني وضعتُ عليها قدمي . . .

« ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحتُها . . .

« قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان . . .

ما زال بأبي جهل رمقٌ؟!

« ثم مرّ بأبي جَهل . . . وهو عَقِيرٌ . . . مُعوّذ بن عَفْراء . . .

« فضربه حتى أثْبَته . . .

« فتركه وبه رمقٌ . . .

« وقاتل مُعَوّذ حتى قُتِل . . .

---

(١) أطنَّت قدمه: أطارتها.

(٢) تطيح: تذهب.

(٣) المرضخة: التي يدق بها النوى للعلف.

(٤) أجهضني: غلبني واشتد عليّ.

عبدالله بن مسعود ... يحتزّ رأس أبي جهل؟!

« فمرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل ... »

« حين أمرَ رسول الله ﷺ أن يُلْتمس في القتْلى ...

« وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني -.

« انظروا ... إن خَفِيَ عليكم في القَتْلى ...

« إلى أثَر جرْح في رُكبته ...

« فإني ازدحمتُ يوما أنا وهو على مأدُبة لعبدالله بن جُدْعان ... ونحن غلامان ... وكنتُ أشفَّ منه بيَسير ... فدفعتُه فوقع على ركبتيه ... فجُحِش[1] في إحداهما جَحْشا لم يزل أثرُه به ...

« قال عبيدالله بن مَسْعود:

« فوجدته بآخر رَمَق فعرفتُه ...

« فوضعتُ رِجْلي على عُنقه ...

« قال: وقد كان ضَبَث بي مَرَّة بمكة ... فآذاني ... ولَكَزني ...

« ثم قلت له:

« هل أخزاك الله ... يا عدوّ الله؟!

« قال: وبماذا أخزاني ... أعمَدُ من رجلٍ قتلتموه[2] ؟! ...

« أخْبِرْني ... لمن الدائرةُ اليوم؟ ...

« قال: قلت: لله ولرسوله ... »

« قال ابن هشام: ضَبَثَ: قبضَ عليه ولَزِمه ...

« قال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجُل قتلتموه ... أخبرني لمنِ الدائرة اليوم؟ ...

---

(١) جُحِش: خُدش.

(٢) يريد: أكبر من رجل قتلتموه ... على سبيل التحقير منه لمعلهم به ..

يا رُوَيْعِيَ الغنم؟!

« قال ابن إسحاق: وزعم رجالٌ من بني مَخْزُوم... أن ابن مسعود كان يقول:
« قال لي: لقد ارتقيت مُرْتَقى صَعْبا يا رُوَيْعِيَ الغنم!!!

ثمَّ احتززتُ رأسَه؟!

« قال: ثم احتززتُ رأسَه...
« ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ...

هذا رأس عدوّ الله... أبي جهل؟!

« فقلت:
« يا رسول الله...
« هذا رأسُ عدوّ الله... أبى جهل...
« قال: فقال رسولُ الله ﷺ:
« آللهِ الذي لا إله غيره...
« ـ قال: وكانت يمينَ رسول الله ﷺ ـ
« قال: قلت: نعم... والله الذي لا إله غيره...
« ثم ألقيتُ رأسَه بين يدي رسول الله ﷺ...
« فحمِد الله ».

* * *

وجاء في سيرة ابن هشام... في سياق «من قُتل ببدْر من المشركين»:

«ومن بني مَخْزوم:

«أبو جَهْل بن هشام -

«واسمه عَمْرو بن هشام -

«ضربه مُعاذ بن عمرو بن الجَموح... فقطع رجلَه...

«وضرب ابنُه عِكْرمة يدَ مُعاذ فطرحها...

«ثم ضربه مُعَوّذ بن عَفراء حتى أثبته[١]...

«ثم تركه وبه رمَق...

«ثم ذَفَّف[٢] عليه عبدالله بن مَسْعود...

«واحتزّ رأسه...

«حين أمَر رسولُ الله ﷺ أن يُلْتمس في القَتْلى»!!!

---

(١) أثبته: جرحه جراحة لا يقوم معها...

(٢) ذفّف عليه: أسرع قتله.

وشهد . . .

المشاهد . . .

كلها . . . ؟!

مضت غزوة بدر الكبرى . . .
وتتابعت الأحداث من بعدها . . .
والاسلام في صعود . . .
ثم كانت غزوة أُحُد . . .
تم كانت غزوة الخندق . . .
ثم كان صُلح الحُدَيْبِية . . .
ثم كانت غزوة خيبر . . .
ثم عمرة القضاء . . .
ثم كانت غزوة مؤتة . . .
ثم كان فتح مكة . . .
ثم غزوة حُنَيْن . . .
ثم غزوة تبوك . . .
ثم جاء عام الوفود . . .
ثم كانت حجة الوداع . . .

نم كانت وفاة النبي ﷺ... اقول: هذه المشاهد كلها... على تفصيل ليس هنا موضعه... شهدها ابن مسعود...

عشر سنين حافلات بالأحداث.

... هي الفترة التي عاشها النبي ﷺ بالمدينة... الى أن لحق بالرفيق الأعلى...

عاشها ابن مسعود... وشارك فيها بظاهره وباطنه...

ثم انتقل رسول الله ﷺ الى ربه تبارك وتعالى...

ودمَعَتْ عيناه؟!

« قال ابن مسعود:

« نعى إلينا نبيّنا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر...

« فلمّا دنا الفراق جمعَنا في بيت عائشة...

« فنظر إلينا فشدّد...

« ودمعت عيناه وقال:

« مرحبًا بكم...

« حيّاكم الله...

« رحمكم الله...

« آواكم الله...

« حفظكم الله...

« رفعكم الله...

« وفّقكم الله...

« سلّمكم الله...

« قبلكم الله...

« أوصيكم بتقوى الله . . .

« وأوصي الله بكم . . .

« وأستخلفه عليكم . . .

« وأؤدّيكم إليه . . .

« إنّي لكم منه نذير وبشير . . . ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده . . .

« فإنّه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نجْعَلُهَا للَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ للْمُتَّقِينَ﴾[1] . . .

« قلنا: فمتى أجلك؟ . . .

« قال: دنا الفراق . . . والمنقلب إلى الله . . . وسِدرة المنتهى . . . والرفيق الأعلى . . . وجنّة المأوى . . .

« فقلنا: من يغسلك؟ . . .

« قال: أهلي . . .

« قلنا: فِيمَ نكفّنك؟ . . .

« قال: في ثيابي . . . أو في بياض . . .

« قلنا: فمن يصلّي عليك؟ . . .

« وقال: مهلًا . . . غفر الله لكم . . . وجزاكم عن نبيّكم خيرًا . . .

« فبكينا . . . وبكى . . .

« ثمّ قال: ضعوني على سريري على شفير قبري . . .

« ثم اخرجوا عني ساعةً . . .

« ليصليّ عليّ جبرائيل . . . وإسرافيل . . . وميكائيل . . . وملك الموت . . . مع الملائكة . . .

---

(١) سورة القصص، آية ٨٣ .

« ثمّ ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا . . .
« فصلّوا عليّ . . .
« ولا تؤذوني بتزكية ولا رنّة . . .
« اقرئوا أنفسكم مني السّلام . . .
« ومَنْ غاب من أصحابي . . . فأقرئوه مني السّلام . . .
« ومن تابعكم على ديني فاقرئوه السلام » .

★ ★ ★

اقول: كيف كان شعور ابن مسعود وهو يسمع هذه الكلمات الطيّبات من رسول الله ﷺ ؟!

إنه مشهد واحد . . . من مئات المشاهد التي شهد فيها رسول الله ﷺ . . .

ثم ماذا ؟! . . . ثم توفّى ﷺ . . .

وجاء أبو بكر . . . خليفة لرسول الله ﷺ . . .

فكيف كانت حياة ابن مسعود في عهد الخليفة الأول؟!

ابن مسعود ...
أحَد الأبطال ...
الذين يحرسون ...
المدينة ...؟!

قال عبدالله بن مسعود :

« لقد قُمْنا بعد رسول الله ... ﷺ ... مقامًا كدْنا نهلك فيه ...

« لولا أنّ الله منّ علينا بأبي بكر ...

« أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مَخاض وابنة لَبون .:. وأن نأكل قرى عربيّة ...

« ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ...

« فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ...

« فوالله ما رضي منهم إلا بالخِطّة المخزية أو الحرب المُجليه ...

« فأمّا الخُطّة المخزية فان يقرّوا بأن من قُتل منهم في النار ... ومن قُتل منا في الجنة ... وأن يَدُوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم ... وأنّ ما أخذوا منّا مردودٌ علينا ...

« وأما الحرب المُجلية فان يُخْرَجوا من ديارهم » !!!

ارتدّت العرب ... إلّا قريشًا وثقيفًا ؟!

وأمّا أخبار الردّة ... فإنّه لما مات النبي ... ﷺ ... وسيّر أبو بكر جيشَ أسامة ...

« ارتدّت العرب ... وتضرّمت الأرضَ نارًا ...
« وارتدّت كلّ قبيلة عامّة أو خاصّة ... إلا قريشًا وثقيفًا ... » !!!

ابن مسعود ... أحَد الأبطال الأربعة ؟!

« وجعل أبو بكر على أنقاب[1] المدينة ... عليًّا ... وطلحة ... والزّبير ... وابن مسعود ...

« وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدوّ لقربهم ...

« فما لبثوا إلا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل ... فوافوا ليلًا الأنقابَ وعليها المُقاتلة فمنعوهم ... وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ... فخرج الى أهل المسجد على النواضح فردّوا العدوّ ... » !!!

(١) الأنقاب: واحدها النقب: الطريق في الجبل.

وفي عهد أبي بكر...
ابن مسعود يقاتل...
في معركة اليرموك...؟!

معركة اليرموك

(خالد... يصل ناشراً راية... رسول الله ؟!)

قال ابن الأثير:

« وسار فوصل إلى ثنية العُقاب عند دمشق ناشرًا رايته...

« وهي راية سوداء... وكانت لرسول الله... ﷺ... تسمّى العُقاب...

« ثم سار فأتى مرجَ راهط...

« ثم سار حتّى وصل إلى بُصرى... فقاتل مَن بها فظفر بهم وصالحهم فكانت بُصرى أول مدينة فُتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق... وبعث بالأخماس إلى أبي بكر...

« ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر...

« وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسيسون والرهبان يحرضون الروم على القتال...

« وخرج باهان كالمقتدر... فولي خالد قتاله...

« وقاتل الأمراء مَن بإزائهم...

« ورجع باهان والروم إلى خندقهم... وقد نال منهم المسلمون..»!!

(كان فيهم ألف صحابي؟!)

« فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك...

« وكانوا سبعة وعشرين ألفاً... وثلاثة آلاف من فُلاّل خالد بن سعيد... وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد...

« فصاروا أربعين ألفًا...

« سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل...

« وكان فيهم ألف صحابي... منهم نحو مائة ممن شهد بدرًا...

« وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل...

« منهم ثمانون ألف مقيّد...

« وأربعون ألف مسلسل للموت...

« وأربعون ألفًا مربوطون بالعمائم لئلّا يفرّوا...

« وثمانون ألف راجل...

« وكان قتال المسلمين لهم على تساند...

« كل أمير على أصحابه... لا يجمعهم أحد...

« حتى قدم خالد بن الوليد من العراق...

« وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرًا...

« ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة...

(خالد يخطب في الجموع: إن هذا يوم من أيام الله؟!)

« فلما أحسّ المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين...

« فسار فيهم خالد بن الوليد... فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« إنّ هذا يوم من أيام الله... لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي...

« أخلصوا جهادكم... وأريدوا الله بعملكم...

« فإن هذا يوم له ما بعده...

« ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية... وأنتم متساندون فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغي...

« وإنّ مَن وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا...

« فاعملوا فيما لم تُؤمروا به بالذي ترونه أنه رأيٌ من واليكم ومحبّته...

« قالوا: هات فما الرأي؟...

« قال: إنّ أبا بكر لم يبعثنا إلاّ وهو يرى أنا سنتياسر... ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم...

« إن الذي أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا قد غشيهم... وأنفع للمشركين من أمدادهم...

« ولقد علمتُ أن الدنيا فرقت بينكم... فالله الله!...

« فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان لأحد من الأمراء... ولا يزيده عليه إن دانوا له...

« إنّ تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله... ولا عند خليفة رسول الله... ﷺ...

« هلمّوا... فإنّ هؤلاء قد تهيّأوا...

« وإنّ هذا يوم له ما بعده...

« إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم...

« وإن هزمونا لم نفلح بعدها...

« فهلمّوا... فلنتعاور الإمارة... فليكن بعضنا اليوم... والآخر غدًا... والآخر بعد غد... حتى تتأمّروا كلكم...

« ودعوني أتأمّر اليوم...

« فأمّروه... وهم يرون أنها كخرجاتهم... وأنّ الأمر لا يطول!!

(عبقرية خالد ... في تعبئة الجيوش ؟!)

« فخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الراؤون مثلها قطّ...

« وخرج خالد في تعبئة... لم تُعَبّها العرب قبل ذلك...

« فخرج في أربعين كردوساً[1].

« وقال: إنّ عدوكم كثير... وليس تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس...

« فجعل القلب كراديس... وأقام فيه أبا عبيدة...

« وجعل الميمنة كراديس... وعليها عمرو بن العاص... وشُرحبيل بن حسنة...

« وجعل الميسرة كراديس... وعليها يزيد بن أبي سفيان...

« وكان على كردوسٍ ... القعقاع بن عمرو ...

« وجعل على كلّ كردوسٍ... رجلاً من الشجعان...

« وكان القاضي... أبو الدرداء...

« وكان القاصّ أبو سفيان بن حرب...

« وعلى الطلائع قباث بن أشيم...

« وعلى الأقباض... عبدالله بن مسعود ...

(خالد يقول: إنما تكثر الجنود بالنصر ؟!)

« وقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين!...

« فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقلّ الروم... إنما تكثر الجنود بالنصر... وتقلّ بالخذلان... والله لوددت أن الأشقر - يعني فرسه - براء من توجّيه وأنهم أضعفوا في العدد - وكان قد حفي في مسيره -!!

---

(١) فرقة.

(خالد يأمر بالزحف؟!)

هذه لحظة من لحظات الله...
هاهنا يُكتب التاريخ من جديد...
إن خالدًا يأمر بالقتال!!!
« فأمر خالدٌ عكرمة بن أبي جهل... والقعقاع بن عمرو... فأنشبا القتال...
« والتحم الناس...
« وتطارد الفرسان... وتقاتلوا!!!

(بطولة... فوق بطولة... الأبطال؟!)

« فإنهم على ذلك... قدم البريد من المدينة... واسمه مَحْمية بن زُنَيْم...
« فسألوه الخبر... فأخبرهم بسلامة وأمداد...
وإنما جاء بموت أبي بكر... وتأمير أبي عبيدة...
« فبلّغوه خالدًا...
« فأخبره خبر أبي بكر... سرّاً...!!!
هاهنا بطولة... فوق بطولة كل الأبطال...
بينما المعركة على أشدها...
يأتيه أمر الخليفة عمر... بعزله عن إمارة الجيوش... وتولية أبي عبيدة...
فيكتم خالد الأمر... حتى يتم النصر للمسلمين!!!
هذه فعلة تحتاج إلى أعصاب ليس كمثلها أعصاب!!!

(هل أنزل الله على نبيكم . . . سيفًا من السماء . . . فأعطاكه ؟ !)

« وخرج جَرَجَة إلى بين الصفّين... وطلب خالدًا . . . فخرج إليه .

« فآمن كلّ واحد منهما صاحبه...

« فقال جَرَجَة : يا خالد . . . أصدقني ولا تكذبني . . . فإنّ الحُرّ لا يكذب . . . ولا تخادعني . . . فإن الكريم لا يخادع المسترسل . . .

« هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه . . . فلا تسلّه على قوم إلّا هزمتهم ؟ ! . . .

« قال : لا . . .

« قال : ففيمَ سُمّيّت سيف الله ؟ . . .

« فقال له : إن الله بعث فينا نبيّه . . . ﷺ . . . فكنتُ فيمن كذّبه وقاتله . . . ثم إن الله هداني فتابعته . . . فقال : أنت سيف الله سلّه الله على المشركين ! . . ودعا لي بالنصر . . .

« قال : فأخبرني إلى ما تدعوني ؟ . . .

« قال خالد : إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب . . .

« قال : فما منزلة مَن يُجِبكم يدخل فيكم ؟ . . .

« قال : منزلتنا واحدة . . .

« قال : فهل له مثلكم من الأجر والذُّخْر ؟ . . .

« قال : نعم . . . وأفضل . . . لأننا اتبعنا نبينا وهو حيّ يُخبرنا بالغيب . . . ونرى منه العجائب والآيات . . . وحُقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسْلم . . . وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا . . . فمن دخل بنيّة وصِدق . . . كان أفضل منا . . .

« فقلب جَرَجَة ترسه . . . ومال مع خالد . . . وأسلم . . .

« وعلّمه الإسلام . . . واغتسل وصلّى ركعتين . . .

« ثم خرج مع خالد . . . فقاتل الرومَ . . . » ! ! !

قصة رائعة... وخالدة* من خالدات خالد!!!

إن جَرَجَة أحد عظماء قادة الروم... الذي كان يقود عشرات الألوف ويقف بها بإزاء قوات يزيد بن أبي سفيان... قبل التعبئة الموحدة للروم... ها هو ينقلب مسلمًا... وقد بهرته أعاجيب بطولة خالد...

ولا يفهم بطولة البطل إلّا مَن كان في مثل بطولته...

لقد استسلم بطل الروم... لبطل الإسلام!!!

(مَن يبايع على الموت ؟!)

« وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلى المحامية... عليهم عكرمة وعمّه الحارث بن هشام...

« فقال عكرمة يومئذ : قاتلت مع النبي... ﷺ... في كل موطن ثم أفرّ اليوم ؟!...

« ثم نادى: مَن يبايع على الموت ؟...

« فبايعه الحارث بن هشام... وضِرار بن الأزْوَر... في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم...

« فقاتلوا قُدّام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعًا جراحًا. فمنهم مَن برأ ومنهم مَن قُتل...

« وقاتل خالد وجَرَجَة قتالًا شديدًا...

« فقُتل جَرَجَة عند آخر النهار...

« وصلّى الناس الأولى والعصر إيماء... وتضعضع الروم...

« ونهد خالد بالقَلْب حتى كان بين خيلهم ورَجْلهم...

« فانهزم الفرسان وتركوا الرّجّالة...

(هزيمة الروم؟!)

« ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لها... فتفرّقت...

« وقُتل الرّجّالة واقتحموا في خندقهم...

« فاقتحمه (خالد بن الوليد) عليهم...

« فعمدوا إلى الواقوصة حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم... ثمانون ألفًا من المقترنين... وأربعون ألف مطلق... سوى مَن قُتل في المعركة...

« وتجلّل الفيقار وجماعة من أشراف الروم برانسهم وجلسوا فقُتلوا متزمّلين...

« ودخل خالد الخندق... ونزل في رواق تذارق...

« فلما أصبحوا أُتي خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحًا... فوضع رأسه على فخذه.

« وبعمرو بن عكرمة... فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما... وقطر في حلوقهما الماء وقال:

« زعم ابن حَنتمة - يعني عمر - أنا لا نُستَشهَد ...!

« وقاتل النساء ذلك اليوم وأبلين!!!

(٣٠٠٠ شهيد ... من المسلمين؟!)

« قال عبدالله بن الزّبير: كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبي لا أقاتل...

« فلما اقتتل الناس نظرتُ إلى ناس على تلّ لا يقاتلون... فركبتُ وذهبتُ إليهم... وإذ أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح... فرأوني حدثًا فلم يتقوني...

« قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الروم يقولون: إيه بني

الأصفر!... فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون قال: ويح بني الأصفر!. فلما هزم الله الروم أخبرتُ أبي فضحك فقال: قاتلهم الله!... أبوا إلّا ضغنًا... لنحن خير لهم من الروم!...

« وفي اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب...

« ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص... فنادى بالرحيل عنها قريبًا... وجعلها بينه وبين المسلمين وأمّر عليها أميرًا... كما أمّر على دمشق...

« وكان مَن أُصيب من المسلمين ثلاثة آلاف...

« منهم عكرمة وابنه عمرو...» !!!

٣٠٠٠ شهيد من المسلمين... فكم كان قتلى الروم؟!...

٨٠٠٠٠ من المقترنين...

٤٠٠٠٠ مطلق...

١٢٠٠٠٠ قتيل من الروم... سوى من قتل في المعركة!!!

شيء عجيب... كل قتيل من المسلمين يقابله نحو خمسين قتيلًا من الروم!!!

(تفاصيل عند الرواة؟!)

قال الراوي:

« قال الطبري وتابعه ابن الأثير: فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول... وسألوه الخبر فلم يخبرهم إلّا بسلامة... وأخبرهم عن أمداد... وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة... فأبلغوه خالدًا... فأخبره خبر أبي بكر سره إليه... وأخبره بالذي أخبر به الجند...

« فقال له خالد : أحسنت... فقف...

« وأخذ الكتاب وجعله في كنانته... وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند... فوقف محمية بن زنيم ـ وكان هو الرسول ـ مع خالد...

« والذي نلاحظه أن الخبر بموت أبي بكر... وعزل خالد عن الإمارة العامة على جند الشام... وتولية عمله وإمارته أبا عبيدة بن الجراح... وصل إلى علم خالد أول الناس... والقتال بين المسلمين والروم على أشد ما يكون قتال بين جيشين أجمع كل جيش منهما على افناء عدوه... فما الذي كان من خالد وهو القائد المعزول... وفي يده زمام المعركة؟... لقد استحسن عمل الرسول الذي حمل إليه كتاب عزله في كتمانه هذه الأنباء عن خاصة الناس وعامتهم... حتى أبلغ الكتاب إليه... فجعله خالد في كنانته... فأي قوة نفسية هذه التي مكنت خالدًا من ضبط أعصابه بعد إذ عرف أنه معزول عن الإمارة ومؤمر عليه بعد أن كان أميرًا ليس فوقه أمير... والنصر بين يديه لو شاء لأدار به وجه التاريخ؟!... وانتهت هذه الأنباء إلى خالد فكتمها حتى انتهى بالمعركة إلى نهايتها العظيمة... فأسلم زمام القيادة العامة إلى القائد الجديد أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح... وعاد خالد يعمل تحت لوائه قائد فرقة في الموضع الذي كان عليه أبو عبيدة... »!!!

★ ★ ★

وهكذا... شهد ابن مسعود... معركة اليرموك... وكان أحد أبطالها...

عَيَّنَه خالد بن الوليد... مديراً للشؤون المالية...

أوْ بلغة عصرهم: « وعلى الأقباض... عبدالله بن مسعود »!!!

ابن مسعود ...
في عهد ...
عُمَر ...؟!

كانت وفاة أبي بكر ... لثماني ليال بقين من جمادي الآخرة ...
وهو ابن ثلاث وستين سنة ... سنة ثلاث عشرة من الهجرة ...
ثم تولى عمر بن الخطاب ... أميرًا للمؤمنين ... رضي الله عنه ...
وعهد عمر كانت فيه أعظم الفتوحات غربًا وشرقًا ...
ووقعت فيه أعظم الوقائع ... وأضخم الانتصارات ...
ولا شك أنّ ابن مسعود قد شارك في تلك المعارك ...
قال صاحب «أسْد الغابة في معرفة الصحابة»:
« ومن مناقبه أنه بعد وفاة رسول الله ﷺ ...
« شهد المشاهد العظيمة ...
« منها: أنه شهد اليرموك بالشام ... وكان على النَّفَل ...
« وسيَّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الكوفة ...
« وكتب إلى أهل الكوفة:
« إني قد بعثت عمارَ بن ياسرٍ أميرًا.
« وعبدالله بن مسعود ... مُعَلِّمًا ... ووزيرًا ...
« وهما من النُّجَبَاء ...
« من أصحاب رسول الله ﷺ ...
« من أهل بدْر ...

« فاقتدُوا بهما ... وأطيعوا واسمعوا قولَهُما ...
« وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي »!!!

ابن مسعود وزيرًا ؟!

وقال ابن الأثير:
« ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ...
« وفيها ولّى عمرُ عمّارَ بن ياسر على الكوفة ...
« وابنَ مسعود على بيت المال ...»

★ ★ ★

اقول: وهكذا عيَّن عُمر ابن مسعود على بيت المال بالكوفة... أعظم قاعدة عسكرية في الدولة الأعظم... دولة الاسلام...

وحَدَّدَ في كتابه الى أهل الكوفة... أنه بعثه اليهم وزيرًا ومُعَلِّمًا... وزيرًا... يعين عمّار بن ياسر... ومُعَلِّمًا لأهل الكوفة جميعا...

كم كان عدد أفراد الجيش بالكوفة؟!

كثير من الناس اذا سمع كلمة الكوفة... والبصرة... لا يتصور إلا أنهما مجرد مكان اجتمع فيه عدد من المقاتلة!!!

وهذا وَهْم قبيح من المسلمين المعاصرين الذين يجهل أكثرهم حقائق تاريخهم الإسلامي العظيم!!!

قال ابن الأثير:
« وخلا عمر في ناحية المسجد فنام...

« فأتاه المغيرة بن شُعبة . . . فحرسه حتى استيقظ . . .

« فقال: ما فعلتَ هذا يا أميرَ المؤمنين إلّا من عظيم . . .

« فقال: وأيّ شيء أعظم من مائة ألف لا يَرْضَون عن أمير . . . ولا يرضى عنهم أمير؟ . . .

« وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل . . .

« وأتاه أصحابه فقالوا: ما شأنك؟ . . .

« فقال: إنّ أهل الكوفة قد عضلوني . . . واستشارهم فيمن يوليه . . .

« وقال: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قويّ مسدّد؟ . . .

« فقال المغيرة: أمّا الضعيف المسلم فإنّ إسلامه لنفسه وضعفه عليك . . . وأمّا القوي المسدّد فإن سداده لنفسه وقوته للمسلمين . . .

« فولّى المغيرة الكوفة . . .

« فبقي عليها حتّى مات عمر . . .

« وذلك نحو سنتين وزيادة . . .

« وقال له حين بعثه:

« يا مغيرة . . . ليأمنك الأبرار . . . وليخفْك الفجّار . . . » !!!

ماذا أريد أن أقول؟!

أقول: الذي نُرَكِّز عليه هاهنا هو « وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل » . . .

أي أن عدد أفراد القوات المسلحة بقاعدة الكوفة العسكرية كان مائة ألف مقاتل!!!

مائة ألف ضابط وجندي . . .

فيهم آلاف من الصحابة . . .

وآلاف من التابعين...

وعشرات الآلاف من غَيرهم...

إنها كانت أعظم قاعدة عسكرية آنذاك... تضُم خيرة المقاتلين الذين دوَّخوا الأمبراطوريات وجعلوها أحاديث...

ومن هنا نعلم مدى ضخامة منصب عبدالله بن مسعود...

حين عيَّنه عُمر أميرًا على بيت المال بالكوفة... ومُعَلِّمًا... ووزيرًا!!!

ثم ماذا؟!

ثم مات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهيدًا...

وخلفه أمير المؤمنين... عثمان... فكيف كانت حياة عبدالله بن مسعود في عهد عثمان؟!

عبدالله بن مسعود . . .
في عهد . . .
عثمان . . . ؟!

ثمَّ دخلت سنة أربع وعشرين . . .

« في المحرم منها بويع عثمان بن عفّان . . .

عثمان . . . يعزل سعد بن أبي وقّاص . . . ويقرّ ابن مسعود ؟!

« وفيها عزل عثمانُ المغيرةَ بن شُعبة عن الكوفة . . . واستعمل سعد بن أبي وقّاص عليها بوصية عمر . . .

« ثم دخلت سنة خمس وعشرين . . .

« في هذه السنة عزل عثمانُ بن عفّان . . . سعدَ بن أبي وقّاص عن الكوفة . . . واستعمل الوليدَ بن عقبة . . .

« وسبب ذلك أن سعدًا اقترض من عبدالله بن مسعود . . . من بيت المال قرضًا . . .

« فلمّا تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه . . .

« فارتفع بينهما الكلام . . .

« فقال له سعد : ما أراك إلّا ستلقى شرًّا . . .

« هل أنت إلّا ابن مسعود . . . عبدٌ من هُذَيل ؟! . . .

« فقال : أجل والله إنّي لابن مسعود . . . وإنّك لابن حُمَينة . . .

« وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص حاضرا فقال: إنّكما لصاحبا رسول الله ... ﷺ ... يُنظَر إليكما!!!

« فرفع سعدٌ يده ليدعو على ابن مسعود ... وكان فيه حدّة ...

« فقال: اللهمّ ربّ السماوات والأرض ...

« فقال ابن مسعود: ويلك ... قل خيرًا ولا تلعن ...

« فقال سعد عند ذلك: أمَا والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك ...

« فولّى عبدالله سريعًا حتى خرج ...

« ثم استعان عبدُالله بأناس على استخراج المال ...

« واستعان سعد بأناس على إنظاره ...

« فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً ...

« يلوم هؤلاء سعدًا ... وهؤلاء عبدَالله ...

« فكان أوّل ما نُزِغَ به بين أهل الكوفة ...

« وأول مِصْر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة ...

« وبلغ الخبر عثمان ... فغضب عليهما ...

« فعزل سعدًا ... وأقرَّ عبدالله ...

« واستعمل الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط مكان سعد ....»!!!

ابن مسعود يقول: أصَلَحْتَ بعدنا أم فسد الناس؟!

« وكان على عَرب الجزيرة عاملًا لعمر بن الخطاب ... وعثمان بن عفّان بعده ...

« فقدم الكوفة واليًا عليها ...

« وأقام عليها خمس سنين ... وهو من أحبّ الناس إلى أهلها ...

« فلمّا قدم قال له سعد: أكِستَ بعدنا أم حمقنا بعدك؟!

« فقال: لا تجزعَنَّ يا أبا إسحاق... كل ذلك لم يكن وإنّما هو المُلْك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون...

« فقال سعد: أراكم جعلتموها مُلْكًا؟!...

« وقال له ابن مسعود: ما أدري أصلَحْتَ بعدنا أم فَسَد الناس»؟!

ابن مسعود يقول: الخلاف شرّ؟!

« إتمام عثمان الصلاة بمنًى...

وأول ما تكلّم الناس فيه:

« حج بالناس هذه السنة عثمان...

« وضرب فسطاطه بمنًى...

« وكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنًى...

« وأتمّ الصلاة بها وبعَرَفة...

« فكان أوّل ما تكلّم به الناسُ في عثمان ظاهرًا حين أتمّ الصلاة بمنًى...

« فعاب ذلك غيرُ واحد من الصحابة...

« وقال له عليّ: ما حدث أمر ولا قدُم عهد!... ولقد عهدتَ النبيّ.... ﷺ... وأبا بكر وعمر... يصلون ركعتين... وأنت صدرًا من خلافتك... فما أدري ما ترجع إليه!...

« فقال: رأي رأيتُه...

« وبلغ الخبر عبدالرحمن بن عوف وكان معه فجاءه وقال له: ألم تصلّ في هذا المكان مع رسول الله... ﷺ... وأبي بكر وعمر ركعتين... وصليتها أنت ركعتين؟!...

« قال: بلى... ولكني أُخبرت أن بعض مَن حجّ من اليمن وجفاة الناس

قالوا: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان... واحتجّوا بصلاتي... وقد اتخذتُ بمكة أهلًا ولي بالطائف مال...

« فقال عبدالرحمن: ما في هذا عذر... أمّا قولك: اتخذت بها أهلًا... فإن زوجك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وإنّما تسكن بسكناك... وامّا مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال... وأمّا قولك عن حاجّ اليمن وغيرهم... فقد كان رسول الله... ﷺ... ينزل عليه الوحي والإسلام قليل... ثمّ أبو بكر وعمر... فصلّوا ركعتين... وقد ضرب الإسلام بجرانه...

« فقال عثمان: هذا رأي رأيتُه...

« فخرج عبدالرحمن فلقي ابن مسعود فقال: أبا محمد... غُيِّرَ ما تعلم!...

« قال: فما أصنع؟!...

« قال: اعمل بما ترى وتعلم...

« فقال ابن مسعود: الخلاف شرّ...

« وقد صلّيت بأصحابي أربعًا...

« فقال عبدالرحمن: قد صلّيتُ بأصحابي ركعتين... وأمّا الآن فسوف أصلّي أربعًا » .

عزل الوليد عن الكوفة... واستمرار ابن مسعود في منصبه؟!

« ثم دخلت سنة ثلاثين...

« في هذه السنة عزل عثمانُ... الوليدَ بن عُقبة عن الكوفة.... وولّاها سعيدَ بن العاص...

« وقيل: إن الوليد سكرَ وصلّى الصبح بأهل الكوفة أربعًا!!!
« ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟...
« فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم!!!
« وشهدوا عليه عند عثمان...
« فأمر عليًّا بجلده...
« فأمر عليّ عبدَالله بن جعفر... فجلده...
« فلما علم عثمان من الوليد شُربَ الخمر عزله... وولّى سعِيدَ بن العاص بن أميّة...

حذيفة يقول لعثمان: أدركوا الأُمَّة؟!

« فلمّا عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص: لقد رأيتُ في سفرتي هذه أمرًا... لئن تُرك الناس ليختلفُنّ في القرآن... ثمّ لا يقومون عليه أبدًا...
« قال: وما ذلك؟...
« قال: رأيتُ أناسًا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم... وأنهم أخذوا القرآن عن المِقداد!!!
« ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم!!!
« ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك... وإنّهم قرأوا على ابن مسعود!!!
« وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وإنّهم قرأوا على أبي موسى... ويسمُّون مصحفه لُباب القلوب!!!
« فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذّرهم ما يخاف...

« فوافقه أصحاب رسول الله ... ﷺ ...

« وكثير من التابعين ...

« وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر ؟ ...

« ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود ؟!!

« فغضب حُذيفة ومن وافقه ...

« وقالوا : إنما أنتم أعراب فاسكتوا ... فإنكم على خطإٍ ...

« وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتينّ أمير المؤمنين ... ولأشيرنّ عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك ...

ابن مسعود يغلظ لحُذيفة ؟!

« فأغلظ له ابن مسعود !!!

« فغضب سعيد وقام وتفرّق الناس ...

« وغضب حُذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى ...

« وقال: أنا النذير العُريان ... فأدركوا الأمة ...

« فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر ... فأعظموه ورأوا جميعًا ما رأى حذيفة !!!

أرسلي إلينا بالصُّحِف ننسخها ؟!

« فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ...

« وكانت هذه الصحف هي التي كُتبت في أيّام أبي بكر ...

« فإن القتل لما كثر في الصحابة يومَ اليمامة قال عمر لأبي بكر:

إن القتل قد كثر واستحرّ بقراء القرآن يوم اليمامة... وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير... وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن...

« فأمر أبو بكر... زيد بن ثابت... فجمعه من الرّقاع والعُسُب وصدور الرجال...

« فكانت الصحف عند أبي بكر... ثمّ عند عمر...

« فلمّا توفي عمر أخذتها حفصة فكانت عندها...

أعظم مآثر عثمان؟!

« فأرسل عثمان إليها مَنْ أخذها منها...

« وأمر زيدَ بن ثابت... وعبدالله بن الزُّبير... وسعيد بن العاص... وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام...

« فنسخوها في المصاحف...

« وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش... فإنما نزل بلسانهم...

« ففعلوا...

« فلمّا نسخوا الصحف ردّها عثمان إلى حفصة...

« وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف...

« وحرق ما سوى ذلك...

« وأمر أن يعتمدوا عليها ويدّعوا ما سوى ذلك...

موقف أصحاب عبدالله بن مسعود ؟!

« فكلّ الناس عرف فضلَ هذا الفعل...

« إلاّ ما كان من أهل الكوفة!!!

« فإن المصحف لما قدم عليهم... فرح به أصحاب النبيّ... ﷺ...

« وإن أصحاب عبدالله... ومَن وافقهم امتنعوا من ذلك... وعابوا الناس...

« فقام فيهم ابن مسعود وقال: ولا كلّ ذلك... فإنّكم والله قد سُبقتم سبقًا بيّنًا... فاربعوا على ظَلْعِكم...

« ولما قدم عليٌّ الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف...

« فصاح به وقال: اسكتْ فعن ملأٍ منّا فعل ذلك... فلو وليتُ منه ما ولي عثمان لسلكتُ سبيله...

ابن مسعود... يشهد وفاة أبي ذرّ؟!

« ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين...

« وفاة أبي ذرّ:

« وفيها مات أبو ذرّ...

« وكان قد قال لابنته: استشرفي يا بنيّة... هل ترين أحدًا؟...

« قالت: لا...

« قال: فما جاءت ساعتي بعدُ...

« ثم أمرَها فذبحت شاةً ثم طبختها...

« ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونني فإنَّه سيشهدني قوم صالحون... فقولي لهم: يقسم عليكم أبو ذرّ أن لا تركبوا حتى تأكلوا!!!

« فلمّا نضجت قدرها قال لها: انظري هل ترَيْنَ أحدًا؟...

« قالت: نعم هؤلاء رَكْب!!!

« قال: استقبلي بي الكعبة...

« ففعلت!!!

« فقال: بسم الله... وبالله... وعلى مِلّة رسول الله... ﷺ...

« ثم مات!!!

ابن مسعود يبكي؟!

« فخرجت ابنتُه... فتلقتهم!!!

« وقالت: رحمكم الله... اشهدوا أبا ذرّ...

« قالوا: وأين هو؟...

« فأشارت إليه...

« قالوا: نعم... ونعمة عين!!!

« لقد أكرمنا الله بذلك!!!

« وكان فيهم ابن مسعود... فبكى...

« وقال: صدق رسول الله... ﷺ... يموت وحده... ويُبعث وحده!!!

« فغسلوه... وكفّنوه... وصلّوا عليه... ودفنوه!!!

إنّ أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام؟!

« وقالت لهم ابنته: إنّ أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام... وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا... ففعلوا...

« وحملوا أهله معهم... حتى أقدموهم مكّة... ونَعَوه إلى عثمان...

« فضمّ ابنتَه إلى عياله وقال: يرحم الله أبا ذرّ... ويغفر له نزوله بالرَّبذة!!!

« ولما حضروا شمُّوا من الخباء ريح مسك فسألوها عنه فقالت: إنّه لما حُضر قال: إن الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون... فدوِّفي لهم مسكًا بماء ورشِّي به الخباء!!!

« وكان النفر الذين شهدوه:

« ابن مسعود...

« وأبا مفرز... وبكر بن عبدالله...

« والأسود بن يزيد... وعلقمة بن قيس...

« ومالك الأشتر... والحلحال الضبيّ.. والحرث بن سويد التميمي... وعمرو بن عُتبة... وابن ربيعة السُّلمي... وأبا رافع المزني... وسويد بن شُعبة التميمي... وزياد بن معاوية النَّخعي... وأخا القرثع الضبيّ... وأخا معضد الشيباني...

« وقيل: إن ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذرّ معه... إنما تركهم حتى قدم على عثمان بمكة فأعلمه بموته... فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه...

لماذا بكى ابن مسعود ؟!

« أقول: مَن ذا الذي لا يبكي... إذا شهدْ مشهد وفاة أبي ذرّ؟!!
« ها هو يعاني سكرات الموت...
وسأل أبو ذر زوجته: ما يبكيكِ؟!...
فقالت:

« إنك تموت بتلك الفلاة...
« ولا قدرة لي بنعشك...
« وليس لك ولا لي...
« توب أكفنك فيه » !!!
« فماذا قال أبو ذرّ لزوجته الباكية الحائرة؟!

« لا تبكي.
« فإني سمعت رسول الله... ﷺ... يقول لنفر، انا فيهم:
« ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض
« فتشهده عصابة من المؤمنين.
« وليس من أولئك النفر رجل، إلا وقد مات في قرية، وجماعة من المسلمين.

« وأنا الذي أموت بفلاة.
« والله، ما كذبت، ولا كذبت.
« فانظري الطريق » .

فانظري الطريق؟! فعليك الآن أن تذهبي.. وتنظري الطريق من حولنا
لا بد أن يتحقق كلام رسول الله.. ﷺ.
لا بد أن جماعة من المؤمنين.. قادمة الينا الآن؟!

مَن هو؟!

«وصدّقت المرأة بكلماته.

« وذهبت تنظر ماذا في الطريق؟!

« وجعلت تنظر هنا وهناك.. في الآفاق.. ولكن شيئًا لم يظهر من بعيد.

« وعادت إليه.. فوجدته يدخل إلى الآخرة.. ويخرج من الدنيا.

فجعلت تعينه على موته.. وتخفف عنه سكرة موته.. وهي تبكي.

وهو يقول لها: ارجعي.. فانظري الطريق.. صدق رسول الله.

فذهبت فلم تجد أحدًا!

ثم عادت إليه.. قالت: ما وجدت شيئًا؟!

وما زالت تتردد بين زوجها.. لتنظر أمره.. وما أشبه ما كان منها تلك الساعة.. بما كان من أم اسماعيل.. عليه السلام حين تركته وهو يشرف على الموت عطشـًا.. وجعلت تتردد بين الصفا والمروة.. لعلها.. تجد أحدًا!

لقد كانت هاجر في اضطرابها بين الصفا والمروة.. تخشى أن يموت اسماعيل ولا تجد ماء.

« فما مات اسماعيل.. ولكن كانت زمزم.. نبعًا خالدًا لكل أحد.

« وما مات أبو ذر.. وإن كان قد مات.. ولكن بقيت نهايته نبعًا خالدًا لكل أحد.

ثم ماذا؟ وما زالت تتردد بين زوجها.. وبين استطلاعها.

وذهبت إلى كثيب مشرف على الطريق.

ونظرت.. فرأت ركبًا قادمًا من بعيد؟!

أحقًا هذا؟!

نعم.. إنهم رجال.. قادمون على رواحلهم.. كأنهم الرخم.

ومن بعيد.. ألاحت لهم بثوبها.. وتنادى القوم:

« هذه امرأة تستغيثنا فأغيثوها » .
« وضعوا السياط في نحور رواحلهم.. واستبقوا اليها.
فلما بلغوها قالوا :
« ما لك يا أَمة الله » ؟ .
« قالت.. وهي مضطربة مهمومة :
« امرؤ من المسلمين يموت، تكفنونه، وتشهدون جنازته » .
قالوا في لهفة : ومَن هو ؟
قالت :
« أبو ذرّ » .
« فصاحوا جميعًا :
« صاحب رسول الله » ؟!!
« قالت والبكاء يصهرها :
« نعم » .
فأسرعوا اليه.. وهم يتصايحون : بأبي أنت وأمي، يا أبا ذر.
وهكذا.. وقع الحق.. وتحقق قوله.. ﷺ !

لا أُكفن.. إلا في ثوبي؟!

ودخل القوم سراعًا.. إلى أبي ذر.. في أعقابهم امرأته.
قالوا : السلام عليكم ورحمة الله.
قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. ابشروا.. فأنتم الجماعة المؤمنة التي قال رسول الله.. ﷺ.. انها تشهد وفاتي.
وقص عليهم قصة الحديث.. الذي قصه من قبل على امرأته.
فنظر بعضهم إلى بعض.

وعجبوا من رجل يموت.. وهو يمازحهم ويبشرهم!
ثم أعلن أبو ذر.. وهو يموت إليهم: أنتم تسمعون؟
فنظروا إليه جميعًا.
فقال:
« لو كان لي ثوب.
« أو لامرأتي ثوب، يسعني.
« لم أكفن إلا في ثوب هو لي، أو لها».
ونظروا جميعًا.. فما وجدوا له ثوبًا.. أو لزوجته.. يصلح كفنًا!
ونظر العملاق إليهم النظرة الأخيرة.. ونادى فيهم:
« فأنشدكم الله، والاسلام.
« ألا يكفنني رجل منكم، كان أميرًا، أو عريفًا، أو نقيبًا، أو بريدًا». ونظر بعضهم إلى بعض: هل فيكم من ليس كذلك؟
فقال فتى منهم، من الأنصار:
« يا عم.. أنا أكفنك، لم أصب مما ذكرت شيئًا».
« ثم قال:
« اكفنك في ردائي هذا.
« الذي عليّ، وفي ثوبين في حقيبتي، من غزل أمي، حاكتهما لي».
ففرح أبو ذر.. فرحًا شديدًا كأنما يساق إلى الجنة.. وقال:
« أنت.. فكفّني».

تموت.. وحدك؟!

وبلغت الروح الحلقوم.
وجلسوا من حوله ينظرون.
والله أقرب إليه منهم.. ولكن لا يبصرون!
والتفت الساق بالساق.
وخرجت روحه الطاهرة.. إلى بارئها.

وبكوا جميعًا.
وقاموا إلى جهازه.
فكفنه الفتى الأنصاري.. في الجماعة الذين شهدوا موته.
وكان منهم حجر بن الأدبر.
ومالك بن الأشتر.
في جماعة كلهم من اليمن.
ونفذوا ما أوصى به حرفيًا.. لم يحيدوا عنه شيئًا!
لقد كان الرجل.. يريد ألا يكفنه رجل شغل وظيفة من وظائف الدولة.
فهو يريد ألا يمسه أحد هؤلاء.. ألا يمسه إلا المطهرون!
وقد كان.. فما مسه إلا فتى لم يشغل إحدى وظائف الدولة!
وما كفنه إلا في ثوبين كانا في حقيبته.. ليس فيهما أدنى شبهة!
ثم ماذا؟!
وبينما هو في شغل بجنازته.. أقبل عبدالله بن مسعود.. أمير بيت مال الكوفة.. في جماعة من العراق عُمَّارًا.
جاءوا يريدون زيارة البيت الحرام.. لأداء العمرة..
فما أن علم أنها جنازة أبي ذر.
حتى انفجر يبكي.. وهو يقول:
«أخي، وخليلي».
«ثم صلى عليه.
وهو يقول:
«صدق رسول الله.. ﷺ..
«تمشي وحدك.
«وتموت وحدك.
«وتُبعث وحدك»!.

وفاة . . .
عبدالله . . .
ابن مسعود . . . ؟!

قال ابن الأثير:

« ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين . . .

« وفي هذه السنة مات العباس عمّ النبيّ . . . ﷺ . . .

« وفيها مات عبد الرحمن بن عوف . . .

« وعبدالله بن مسعود . . . وصلّى عليه عمّار بن ياسر . . . وقيل عثمان . . .

★ ★ ★

وجاء في أُسْد الغابة في معرفة الصحابة » :

« وتوفّي ابن مسعود بالمدينة . . . سنة اثنتين وثلاثين . . .

« وأوصى إلى الزبير . . . رضي الله عنهما . . .

« ودُفِن بالبقيع . . .

« وصلى عليه عثمان . . .

« وقيل: صلى عليه عمَّارٌ بن ياسر . . .

« وقيل: صلى عليه الزبيرُ . . . ودفنه ليلا أوصى بذلك . . .

وقيل: لم يعلم عثمان رضي الله عنه بدفنه . . . فعاتب الزبير على ذلك . .

« وكان عمره يوم توفي بضعا وستين سنة...

« ولما مات ابن مسعود نُعِي إلى أبي الدرداء... فقال: « ما تَرَك بعدَه مِثْله » !!!

★ ★ ★

وجاء في « البداية والنهاية »:

« وفي هذه السنة... سنة اثنتين وثلاثين... مات العباس بن عبد المطلب... عم رسول الله... ﷺ... ووالد الخلفاء العباسيين...

« وقد كان رسول الله... ﷺ... يجلُّه... وينزله منزلة الوالد من الولد...

« ويقول: هذا بقية آبائي »...

« وصلى عليه عثمان بن عفان... ودفن بالبقيع ».

★ ★ ★

وجاء فيها أيضًا:

وفي هذه السنة.. كذلك.. مات عبدالله بن مسعود.

« أسلم قديمًا.. قبل عمر.

« وكان أول من جهر بالقرآن بمكة.. بعد النبي ﷺ.. عند البيت.. وقريش في أنديتها.. قرأ سورة الرحمن، علم القرآن.

« فقاموا إليه.. فضربوه.

« هاجر إلى الحبشة.. ثم عاد إلى مكة.. ثم هاجر إلى المدينة.

« وشهد بدرا.

« وهو الذي قتل أبا جهل.

« وشهد بقية المشاهد.

« وقد شهد ابن مسعود.. بعد النبي ﷺ.. مواقف كثيرة.. منها اليرموك وغيرها.

« وكان قد قدم من العراق حاجًا.. فمر بالربذة.. فشهد وفاة أبي ذر ودفنه.

ثم قدم الى المدينة.. فمرض بها.

« فجاءه عثمان بن عفان.. عائدًا.

« قال له: ما تشتكي؟

« قال: ذنوبي.

« قال: فما تشتهي؟

« قال: رحمة ربي.

« قال: ألا آمر لك بطبيب؟

« فقال: الطبيب أمرضني.

« قال: ألا آمر لك بعطائك؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ.

« فقال: لا حاجة لي فيه.

« فقال: يكون لبناتك من بعدك.

« فقال: أتخشى على بناتي الفقر؟! اني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة.. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« من قرأ الواقعة، كل ليلة، لم تصبه فاقة أبدًا ».

« وأوصى عبدالله بن مسعود.. إلى الزبير بن العوام.

فيقال: إنه هو الذي صلى عليه ليلاً.

« ثم عاتب عثمان.. الزبير على ذلك.

« ودفن بالبقيع.. عن بضع وستين سنة »!

عبقرية . . .
ابن مسعود . . ؟!

العباقرة قليل . . .

وأقل القليل . . . عباقرة الإيمان . . .

« ذلك أن الإيمان أثقل شيء على النفس البشرية الفاجرة . . .

« لأن النفس نزّاعة للفجور . . . والإيمان يحجزها عن فجورها . . .

« والإيمان تكاليف . . . وقيود . . . والنفس تريد أن تنطلق لا يقيدها شيء . . . ولا تُسأل عما تفعل!!!

تجد الإشارة الى ذلك . . . في قوله تعالى:

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ★

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[1]!!!

« بل يريدُ الإنسانُ» بل حقيقة الانسان . . . المكنون في تركيب الانسان . . . ارادة جامحة . . .

« ليفجُرَ» نحو الفجور . . . والانطلاق لا يقيده شيء . . .

« أمَامَهُ » مستقبلا . . . لئن فاته تحقيق شهواته فيما مضى . . . فهو توّاق ومشتاق إلى الفجور في أيامه المستقبلة . . .

لماذا هذا؟!

« يسألُ أيَّانَ يومُ القيامةِ؟! . . .

ما هذه القيامة التي يزعمون؟!! . . . هيهات هيهات . . . إنها بعيدة جدًا . . .

(١) سورة القيامة، الآيتان ٥ ـ ٦.

ملايين السنين كي تأتي... فلأفعل ما أشاء... ولأستمتع ما أشاء... فلا سؤال ولا مسئولية!!!

هكذا تضطرم هذه النيران في أعماق النفس البشرية الفاجرة...

إلاّ الذين آمنوا... فإنَّ نور الإيمان يطارد هذه الأوهام الباطلة من نفوس المؤمنين... ويحلّ محلها عقيدة يقينية أنَّ الانسان مسؤول أمام ربه عما قَدَّم وأخَّر... ولهذا ينبغي عليه أن يتقيد بقيود الإيمان ولا يخرج عنها!!!

فالنفس بطبيعتها فاجرة... وإنما يحجزها عن فجورها الإيمان...

ومِن هنا كان ثواب المؤمنين والمؤمنات عند ربهم عظيما عظيما...

لأنهم حجزوا أنفسهم عن هواها... وألزموها طاعة مولاها!!!

هذا عن عوام المؤمنين... وجمهور المسلمين...

فكيف بعلماء المؤمنين؟!

أم كيف بمَن كان من هؤلاء العلماء عبقريًّا؟!

لا جَرَم أنَّ له عند ربه أعظم الأجر... وأرفع الدرجات!!!

فهل كان عبدالله بن مسعود عبقريا؟!

نعم... ومن كبار العباقرة...

فما دليل ذلك؟!... دليله أن منابع العبقرية اجتمعت لابن مسعود...

فإنَّ رجلًا كان ملازمًا لرسول الله ﷺ... حتى أنَّه يلبسه نعليه... يتحتم أن يكون عبقريًا... لأن نور النبوة يتشعشع إليه كل حين...

أضف إلى ذلك أن ابن مسعود كان ذا استعداد ليتعلم ويُعَلِّم... ومن هنا قرَّبه ﷺ... فكان دائم الدخول عليه ﷺ...

والأنبياء يحبون ما يحبّ الله...

ويحبون الانسان بنسبة ما يتيمز به ذلك الإنسان من الصفات العليا...

وإنَّ رجلًا يختاره عمر... ليبعثه إلى أهل الكوفة وزيرًا... ومُعَلِّمًا...

ويقول عمر في كتابه لأهل الكوفة:

«وهُما من النجباء...

«من أصحاب رسول الله ﷺ...

«وقد آثرتكم بعبد لله على نفسي» !!!

رجُلًا يقول فيه عمر... وما أدراك ما عمر؟!... هذا المقال...

يتحتم أن يكون في رأي عمر عبقريا...

وقد عبّر عن هذا حين وصفه هو وعمار بن ياسر «وهما من النجباء» أي من العباقرة... في لغتنا المعاصرة...

وحين يقول عمر «وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي» ندرك أن عمر كان يريد أن يكون عبدالله بن مسعود بجواره بالمدينة... يشاوره في الأمور الهامة من سياسة الدولة الأعظم العليا...

ولكنه آثر أهل الكوفة... مائة ألف مقاتل... بعبدالله بن مسعود...

لماذا؟!... ربما كان عمر يرى أن مجتمعًا كمجتمع الكوفة... هو أوسع فرصة تتاح لعبدالله بن مسعود... ليُعَلّم... ويُفتي... ويأخذ عنه أكبر تجمع للصحابة والتابعين وغيرهم.

وهناك نبعان عظيمان... كانت عبقرية ابن مسعود تنبع منهما...

القرآن... وقد أخذه ابن مسعود من رسول الله ﷺ... رأسًا...

والحديث... وقد سمعه من رسول الله ﷺ... بدون واسطة... رأسًا...

ولا شيء هو أعظم من هذين النبعين العظيمين...

لقد كان ابن مسعود عبقريًا...

وإليك دلائل عبقريته!!!

رُوِيَ له ...
٨٤٨ حديثًا ...؟!

جاء في صحيح البخاري:

« وقالَ ابْنُ مَسْعُود :

« اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ » .

هو عبدالله بن مسعود... ابو عبد الرحمن... الهذلي... وأمّه أم عبد... من هذيل أيضًا... لها صحبة...

أسلم بمكة قديمًا... وهاجر الهجرتين... وشهد بدرا والمشاهد كلها... مع رسول الله ﷺ... وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ... كان يلبسه إياها... فإذا جلس أدخلها في ذراعه...

روي له عن رسول الله ﷺ...

ثمانمائة حديث... وثمانية وأربعون... حديثًا...

اتفقا منها على أربعة وستين...[1]

وانفرد البخاري بأحد وعشرين...

ومسلم بخمسة وثلاثين...

مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين... وهو ابن بضع وستين سنة...

روى أحمد في كتاب الزهد... عن عبدالله بن حكيم قال:

---

(١) أي اتفق الشيخان.

« سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه:
« اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقْهًا » .

قوله « اليقين » هو العلم وزوال الشك... وذلك عبارة عن التصديق... وهو أصل الإيمان فعبر بالأصل عن الجميع...

★ ★ ★

٨٤٨ حديثًا رُويت لعبدالله بن مسعود...

هذا عن الأحاديث التي رُويَت... ولكن ابن مسعود شاهد وسمع النبي ﷺ ولازمه... وهذه الملازمة نبْع عملي تطبيقي... له أعظم الأثر في تكوين فقه ابن مسعود!!!

يا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ...
لَوَدِدْتُ أنّكَ ...
ذَكَّرْتَنَا ...
كُلَّ يَوْمٍ ...؟!

عَنْ أبي وائِلٍ ... قالَ:

« كان عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ في كُلِّ خَمِيسٍ ...

« فقال لهُ رَجُلٌ:

« يا أبَا عَبْدِ الرَّحمنِ ... لَوَدِدْتُ أنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ؟ ...

« قال: أمَا إنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أنِّي أكْرَهُ أنْ أُمِلَّكُمْ ...

« وإنِّي أتَخَوَّلُكُم بالموعِظَةِ كما كان النبيُّ ﷺ يَتَخوَّلُنا بها مَخافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا » .

[أخرجه البخاري]

« فقال له » أي لعبدالله بن مسعود... رجل... قيل إنه يزيد بن معاوية النخعي...

« يا أبا عبد الرحمن » هو كنية عبدالله بن مسعود...

« لوددت » أي والله لوددتُ أي لأحببتُ...

« أمَا » حرف استفتاح بمنزلة ألا ...

« أن أمِلَّكُم » أكره إملالكم وضجركم...

« بها » أي بالموعظة...

وفيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الاقتداء بالنبي ﷺ ...

والمحافظة على سنته على حسب معاينتهم لها منه... وتجنب مخالفته لعلمهم بما في موافقته من عظم الأجر... وما في مخالفته بعكس ذلك...

★ ★ ★

أقول: هذا الحديث الرائع نموذج فذّ لعبقرية ابن مسعود... وأنه كان أهلا للتعليم والإرشاد والتوجيه أحسن توجيه...

رجل يرجوه أن يُذَكِّرهم كل يوم... أن يجعل لهم حديثًا يوميًا...

ليغرفوا من نبع النبوة الصافي الذي يرويه لهم ابن مسعود...

فماذا كان جواب العبقري الفقيه؟!

«إني أكره أن أُمِلَّكم»؟!!

شخصية ذات حساسية شديدة... تشعر بشعور الغير... فهو يكره إملال الناس إذا حدثهم يوميًا... يكفي مرة في الأسبوع... كل خميس!!!

قارن بين عبقرية ابن مسعود هنا... وبين هؤلاء الخطباء والوعاظ الثقلاء الأغبياء... الذين يصرون أن يثرثروا على امتداد ساعة كاملة في خطْبة الجمعة... ولا إحساس عندهم بضجر المصلّين... وسآمة المنتظرين؟!!

شتان ثم شتان...

ذلك كان عبقريًا... يهتدي بهدي النبيّ ﷺ...

وهؤلاء حمقى لا يفقهون... ولا يشعرون بسآمة الناس!!!

★ ★ ★

«عن ابنِ مسعودٍ... قال:

«كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعظةِ في الأيام...

« كرَاهَة السآمَةِ علَيْنا .

[أخرجه البخاري]

« يتخولنا » من التخول وهو التعهد ... أي يتعهدنا ...

« كراهية السآمة » والسآمة مثل الملالة ... إذا مللته ...

« علينا » أي كراهة المشقة علينا ... إذ المقصود بيان رفق النبي عليه السلام بالأمة ... وشفقته عليهم ليأخذوا منه بنشاط وحرص ... لا عن ضجر وملل ...

المعنى أن النبي ﷺ كان يعظ الصحابة في أوقات معلومة ... ولم يكن يستغرق الأوقات خوفًا عليهم من الملل والضجر ... وقد وصفه الله تعالى بالرفق بأمته فقال ﴿عزيزٌ عليْهِ ما عَنِتُّمْ﴾(١) الآية .

★ ★ ★

من هنا كانت تنبع عبقرية ابن مسعود ...

ومن هنا ومن مئات الأحاديث التي رواها ... علَّمَ ابنُ مسعود !!!

---

(١) سورة التوبة ، آية ١٢٨ .

بَيْنَا . . .
أنَا . . .
أَمْشِي . . . ؟!

عن عَلْقَمَةَ . . .

« عن عبدِاللهِ . . . قال :

« بَيْنَا أنا أمْشِي معَ النبيِّ ﷺ في خَرِبِ المدينةِ . . .

« وهُوَ يَتَوكَّأُ عَلى عَسِيبٍ مَعَهُ . . .

« فمَرَّ بنَفَرٍ منَ اليَهُودِ . . . فقال بَعْضُهُم لبَعْضٍ :

« سَلُوهُ عن الرُّوحِ . . .

« وقال بعضُهُم : لا تَسْأَلُوهُ . . . لا يَجيءُ فيهِ بشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . . .

« فقالَ بَعْضُهُمْ : ولنَسْأَلَنَّهُ . . .

« فقامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فقالَ : يا أبَا القاسِمِ . . . ما الرُّوحُ ؟ . . .

« فسَكَتَ . . .

« فقُلْتُ : إنَّهُ يُوحَى إلَيْهِ . . .

« فقُمْتُ . . . فلمَّا انْجَلَى عَنْهُ . . .

« فقالَ : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وما أُوتِيتُمْ من العِلْمِ إلَّا قَلِيلًا﴾[1] . . .

« قال الأعْمَشُ : هَكَذَا في قِرَاءَتِنَا » .

[أخرجه البخاري]

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٨٥ .

« في خَرِب » الخراب ضد العمار... ودار خربة والجمع خَرِب...
« يتوكّأ » يعتمد...
« على عَسِيب » جريد النخل... وهو عود قضبان النخل... كانوا يكشطون خوصها ويتخذونها عصيا...
« بنَفَر » عدة رجال من ثلاثة الى عشرة...
« بَيْنا » أصل بَيْنا : بين... فأشبعت الفتحة بالألف...
« سلوه » أصله اسألوه أي النبي ﷺ...
« فقمتُ » أي حتى لا أكون مشوشًا عليه... أو قمت حائلًا بينه وبينهم...
« فلما انجلى » أي فحين انكشف الكرب الذي كان يتغشاه حال الوحي...
« الرُّوحِ » روح بني آدم... والكلام على الروح مما يدق... وقد ألفت فيه التآليف... وقد ذكر بعضهم في الروح سبعين قولا... وقيل انه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان في داخل الجسم... يقابل كل جزء منه عضو نظيره من البدن... وقيل انه جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد فيه... وعليه اعتمد عامة المتكلمين من أهل السُّنة... والأكثرون على أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلْق واستأثره لنفسه...
« قال الأعمش » أي سليمان بن مهران...
« هكذا في قراءتنا » وليست هذه القراءة في السبعة ولا في المشهورة في غيرها...

★ ★ ★

أقول: هكذا كان يشهد ابن مسعود المشاهد...
وهكذا كان يأخذ من نبع النبوة الصافي... رأسًا... بلا واسطة!!!

أصَحّ حديث . . .
في التشهّد . . .
حديث ابن مسعود . . . ؟!

عنْ شَقِيقِ بن سَلَمَةَ . . . قال :

« قال عَبْدُالله :

« كُنَّا إذَا صَلَّيْنا خَلْفَ النبيّ ﷺ . . .

« قُلْنـا السَّلامُ على جِبْـرِيـلَ ومِيكـائِيـلَ . . . السَّلامُ علـى فُلَانٍ وفُلَان . . .

« فالْتَفَتَ إلَيْنا رسولُ اللهِ ﷺ فقال :

« إنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ . . .

« فإذا صَلَّى أحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ . . .

« ألتَّحِيَّاتُ للهِ . . .

« والصَّلَوَاتُ والطيِّبَاتُ . . .

« السَّلَامُ علَيْكَ أيُّها النبيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ . . .

« السَّلَامُ عَلَيْنا وعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِين . . .

« فإنَّكُم إذا قُلْتُمُوهَا أصَابَـتْ كُـلَّ عَبْـدٍ للهِ صـالِـحٍ فـي السمـاء والأرْضِ . . .

« أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ . . .

« وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » .

[أخرجه البُخاري]

« قال عبدالله » هو عبدالله بن مسعود...

« كنا إذا صلّينا » وفي رواية أبي داود « كنا إذا جلسنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة »...

« قلنا السلام على جبريل» ومعناه عبدالله... وفي ميكائيل خمس لغات: ميكال... ميكائيل... ميكائل... ميكئل... ميكئيل...

« السلام على فلان وفلان» وفي رواية ابن ماجه « يعنون الملائكة »... وفي رواية الاسماعيلي « فنعدّ الملائكة »...

« فالتفت الينا رسول الله ﷺ » بعد الفراغ من الصلاة...

« إن الله هو السلام» وحاصله أن النبي ﷺ أنكر التسليم على الله وعلمهم أن ما يقولونه عكس ما يجب أن يقال... فإن كل سلامة ورحمة له ومنه وهو مالكها ومعطيها...

وقال الخطابي: المراد أن الله هو ذو السلام من كل نقص وآفة وعيب...

وقال النووي: معناه أن السلام اسم من أسماء الله تعالى... يعني السالم من النقائص... وقيل المسلم أولياءه...

وقال ابن الانباري: أمرهم أن يصرفوه الى الخلْق لحاجتهم الى السلامة وغناه سبحانه وتعالى عنها...

« فإذا صلى أحدكم فليقل» وفي رواية النسائي عن عبدالله:

« كنا لا ندري ما نقول في كل ركعتين... وأن محمدًا علم فواتح الخير وخواتمه... فقال: إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا...»

وفي رواية ابن خزيمة... عن عبدالله:

« علمني رسول الله ﷺ ... في وسط الصلاة وفي آخرها...»

وزاد الطحاوي:

« أخذت التشهد من في رسول الله ﷺ ...

« ولقننيه كلمة كلمة...»

وفي رواية أخرى للبخاري في الاستئذان... عن ابن مسعود:

« علمني رسول الله ﷺ التشهد...

« وكفّي بين كفّيه...

« كما يعلمني السورة من القرآن...»

« التحيات » جمع تحية... ومعناه: السلام... وقيل: البقاء... وقيل: العظمة... وقيل: السلامة من الآفات والنقص... وقيل: الملك... وقال الخطابي: التحيات كلمات مخصوصة كانت العرب تحيي بها الملوك...

أي قولوا التحيات لله...

أي أنواع التعظيم لله كما يستحقه

« والصلوات » هي الصلوات المعروفة وهي الخمسة وغيرها...

وقال الأزهري: الصلوات العبادات... وقيل: التقدير أنها واجبة لله تعالى ولا يجوز أن يقصد بها غيره... أو يكون ذلك اخبارًا عن قصد اخلاصنا الصلوات له... أي صلواتنا مخلصة له لا لغيره...

ويجوز أن يراد بالصلوات الرحمة...

ويكون معنى قوله « لله » أي المتفضل بها والمعطي هو الله... لأن الرحمة التامة لله لا لغيره...

« والطيبات » أي الكلمات الطيبات... فما طاب من الكلام... وحسن أن يثنى به على الله تعالى... دون ما لا يليق بصفاته...

وقال الشيخ تقي الدين:

وأمّا الطيبات فقد فسرت بالأقوال الطيبات... ولعل تفسيرها بما هو أعمّ أولى... أعني: الطيبات من الأفعال والأقوال والأوصاف... وطيب الأوصاف كونها صفة الكمال وخلوصها عن شوب النقص...

وقال النسفي: التحيات العبادات القولية... والصلوات العبادات الفعلية... والطيبات العبادات المالية...

« السلام عليك أيها النبي » والمعنى أنه سلام من كل عيب وآفة ونقص

وفساد... ومعنى قولنا السلام عليك: الدعاء... أي سلمت من المكاره...
وقيل معناه: اسم السلام عليك... كأنه يتبرك عليه باسم الله عز وجل...

فإن قلتَ: ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله «عليك أيها النبي» مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق... كأن يقول: السلام على النبي... فينتقل من تحية الله الى تحية النبي ثم الى تحية النفس ثم الى تحية الصالحين؟...

قلت: أجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي علمه للصحابة...

ويحتمل أن يقال على طريقة أهل العرفان:

أن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات...
أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت...
فقرّت أعينهم بالمناجاة...
فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة... وبركة متابعته...
فإذا التفتوا فإذا بالحبيب في حرم الحبيب حاضر...
فأقبلوا عليه قائلين: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته...

«ورحمة الله» الرحمة عبارة عن انعامه عليه...

«وبركاته» جمع بركة... وهو الخير الكثير من كل شيء...

وقال الطيبي: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء... والمبارك ما فيه ذلك الخير...

وقال تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾[1] تنبيهًا على ما تفيض منه الخيرات الإلهية...

ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس... وعلى وجه لا يُحصى... قيل لكل ما يشاهد فيه زيادة غير محسوسة هو مبارك... أوْ فيه بركة...

(١) سورة الأنبياء، آية ٥٠.

«السلام علينا» أراد به الحاضرين من الامام والمأمومين والملائكة عليهم الصلاة والسلام...

«وعلى عباد الله الصالحين» الصالح هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى... وحقوق العباد...

والصلاح هو استقامة الشيء على حالة كماله... كما أن الفساد ضده...

ولا يحصل الصلاح الحقيقي إلا في الآخرة... لأن الأحوال العاجلة وإن وصفت بالصلاح في بعض الأوقات لكن لا تخلو من شائبة فساد وخلل... ولا يصفو ذلك إلا في الآخرة... خصوصًا لزمرة الأنبياء... لأن الاستقامة التامة لا تكون إلا لمن فاز بالقدح المعلى... ونال المقام الأسنى... ومن ثم كانت هذه المرتبة مطلوبة للأنبياء والمرسلين... قال الله تعالى في حق الخليل ﴿وإنَّه في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحينَ﴾[1] ...

وحكى عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنه دعا بقوله ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ﴾[2] ...

«فإنكم إذا قلتموها» فائدة هذه الجملة المعترضة الاهتمام بها لكونه أنكر عليهم عدّ الملائكة واحدًا واحدًا ولا يمكن استيعابهم لهم مع ذلك... فعلمهم لفظا يشمل الجميع مع غير الملائكة من النبيين والمرسلين والصدّيقين وغيرهم... بغير مشقة...

وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ ...

«أشهد أن لا إله إلا الله» روى أبو داود من وجه آخر صحيح عن ابن عمر في التشهد «اشهد أن لا إله إلا الله... قال ابن عمر: زدت فيها: وحده لا شريك له»... وهذا ظاهره الوقف...

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» قال أهل اللغة: يقال رجل مُحَمَّد ومحمود إذا كثرت خصاله المحمودة...

(١) سورة البقرة، آية ١٣٠.

(٢) سورة يوسف، آية ١٠١.

وقال ابن الفارس: وبذلك سمي نبينا ﷺ محمدًا... يعني لعلم الله تعالى بكثرة خصاله المحمودة...

قلت: الفرق بين محمد وأحمد... أن محمدًا مفعل للتكثير... وأحمد أفعل التفضيل... والمعنى: إذا حمدني أحد فأنت أحمد منهم... وإذا حمدت أحدًا فأنت محمد... والعبد: الانسان حُرًا كان أو رقيقًا... والأنثى عبدة...

ما يستفاد منه؟!

هو على وجوه...

الأول: ـ فيما ورد من الاختلاف في ألفاظ التشهد...

روي في هذا الباب عن ابن مسعود... وابن عباس... وعمر بن الخطاب... وعبدالله بن عمر.. وعائشة... وعبدالله بن الزبير... وجابر بن عبدالله... وابي سعيد الخدري... وأبي موسى الأشعري... ومعاوية... وسلمان... وسمرة... وأبي حميد...

حديث ابن مسعود؟!

أما حديث ابن مسعود...

فقد رواه الستة عنه...

ولفظ مسلم قال: «علمني رسول الله ﷺ التشهد... كفّي بين كفّيه... كما يعلمني السورة من القرآن... فقال: إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات... السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته... السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين... فإذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض...

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»...

انتهى... زادوا في رواية الإ الترمذي وابن ماجة «ليتخيّر أحدكم من الدعاء أعجبه اليه فيدعو به» ...

الوجه الثاني:

ترجيح تشهد ابن مسعود ؟!

في ترجيح تشهد ابن مسعود رضي الله تعالى عنه... على جميع روايات غيره...

قال الترمذي:

« أصح حديث عن النبي ﷺ في التشهد حديث ابن مسعود ...

« والعمل عليه عند أكثر أهل العلم ...

« من الصحابة والتابعين ...»

ثم أخرج عن معمر عن خصيف قال:

« رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: ان الناس قد اختلفوا في التشهد ...

« فقال: عليك بتشهد ابن مسعود» ...

وأخرج الطبراني في معجمه عن بشير بن المهاجر عن أبي بريدة عن أبيه قال:

« ما سمعت في التشهد أحسن من حديث ابن مسعود ...

« وذلك أنه رفعه إلى النبي ﷺ » ...

وقال الخطابي:

أصح الروايات ... وأشهرها رجالا ... تشهد ابن مسعود ...

وقال ابن المنذر ... وأبو علي الطوسي:

قد رُوي حديث ابن مسعود من غير وجه ...

وهو أصح حديث روي في التشهد عن النبي ﷺ ...

وقال أبو عمر:

بتشهد ابن مسعود أخذ أكثر أهل العلم...

لثبوت فعله عن النبي ﷺ ...

وقال علي بن المديني:

لم يصح في التشهد إلا ما نقله أهل الكوفة عن ابن مسعود ...

وأهل البصرة عن أبي موسى... وبنحوه قاله ابن طاهر...

وقال النووي:

أشدها صحة باتفاق المحدثين... حديث ابن مسعود...

ثم حديث ابن عباس...

وقال البزار:

أصح حديث في التشهد حديث ابن مسعود...

وروي عنه من نيف وعشرين طريقا... ثم سرد أكثرها قال: ولا أعلم في التشهد أثبت منه... ولا أصح أسانيد... ولا أشهر رجالا...

قلتُ: هذا الطحاوي الجهبذ أخرج حديث ابن مسعود في كتابه شرح معاني الآثار من اثني عشر طريقا... وسرد الجميع ثم قال في آخر الباب:

فلهذا الذي ذكرنا استحسنا ما رُوي عن عبدالله... بتشديده في ذلك... ولإجماعهم عليه... إذ كانوا قد اتفقوا على أنه لا ينبغي أن يتشهد إلا بخاص من التشهد... يعني كلهم اتفقوا على أن التشهد لا يكون إلا بألفاظ مخصوصة... ولا يكون بأي لفظ كان...

فإذا كان كذلك فالمتفق عليه أولى من المختلف فيه...

فصار كونه متفقًا عليه دون غيره من مرجحاته...

لأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا في ألفاظه بخلاف غيره...

وأن ابن مسعود تلقاه عن النبي ﷺ تلقيا...

فروى الطحاوي من طريق الأسود بن يزيد عنه قال:

« أخذت التشهد من في رسول الله ﷺ ...

« ولقننيه كلمة كلمة » ...

وفي رواية أبي معمر عنه:

« علمني رسول الله ﷺ التشهد وكفِّي بين كفَّيه » .

ومن المرجحات ثبوت الواو في الصلوات والطيبات وهي تقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه...

فتكون كل جملة ثناء مستقلاً بخلاف ما إذا حذفت فإنها تكون صفة لما قبلها...

وتعدد الثناء في الأول صريح فيكون أولى ولو قيل ان الواو مقدرة في الثاني...

ومنها أنه ورد بصيغة الأمر بخلاف غيره فإنه مجرد حكاية...

الوجه الثالث:

في التشهد هل هو واجب أم سُنة ؟!...

فقال الشافعي وطائفة: التشهد الأول سنة والآخر واجب...

وقال جمهور المحدثين: هما واجبان...

وقال أحمد: الأول واجب والثاني فرض...

الوجه الرابع:

في أن السُّنة في التشهد الاخفاء...

لما روى الترمذي باسناده الى عبدالله بن مسعود: « من السُّنَّة أن يخفى التشهد » وقال حسن غريب...

وعند الحاكم عن عبدالله: « من السُّنَّة أن يخفى التشهد » وقال صحيح على شرط مسلم...

★ ★ ★

ماذا يمكن أن أقول بعد هذا البحر الموّاج الزّخّار بأقوال عظماء العلماء... وعلى رأسهم العبقري الفقيه عبدالله بن مسعود؟!!

الاجماع... على أن أصح حديث عن النبي ﷺ في التشهد حديث ابن مسعود... والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين!!!

فما معنى هذا عمليا؟!

معناه وراء الاحصاء ووراء العقول...

تصوّر الأمة الاسلامية على امتداد الكرة الأرضية... من عهد النبوة الى وقتنا هذا... الى أن تقوم الساعة...

تردّد كلها... في صلواتها... فرْضًا ونفلا... تشهد ابن مسعود...

مرتين أو مَرَّة في كل صلاة!!!

فما معنى هذا؟!

معناه أن ملايين الملايين... من المسلمين والمسلمات... من عهد النبوة الى قيام الساعة...

يرددون يوميًا التشهد الذي رواه ابن مسعود... وتلقاه من فم رسول الله ﷺ!!!

الآن... يزيد المسلمون عن مليار نسمة...

وكلهم... وكلهم... يرددون ويرددون... في صلواتهم تشهد ابن مسعود...

فكيف بالأجيال القادمة الى أن تقوم الساعة؟!!!

أعداد لا يعلمها إلا الله... يرددون في كل صلاة...

في كل جلسة للتشهد... أعلى أغرودة... لَقَّنَها رسول الله ﷺ... ابنَ مسعود... كلمة كلمة...

مليار مسلم ومسلمة... أو يزيدون... يرددون في تشهدهم ما أجمع عليه علمـاء الأمة المباركة... أنه أصح حديث في التشهد ... يقولون في إخفاء:

التحياتُ للهِ!!!

والصَّلواتُ!!!

والطَّيِّباتُ!!!

السَّلَامُ عَلَيْكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبَركاتُهُ!!!

السلامُ علينْا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ!!!

أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ!!!

وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورسولُهُ!!!

هؤلاء المليار مسلـم يـرددون اليـوم... وكـل يـوم... عشـرات المليارات هذا التشهد!!!

فأيّ خلود أصابه ابن مسعود؟!!

وأيّ عبقرية بعد عبقرية ابن مسعود؟!!

وأي بركة تباركت تلك الكلمات الطيبات حين رواها ابن مسعود عن النبيّ ﷺ؟!!

ابن مسعود ...
أحَد الرجال ...
الاثني عشر ...؟!

حدّثنا جابرُ بنُ عبْدِاللهِ... قال: «بَيْنَما نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النبيِّ ﷺ ...

«إذْ أَقبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا ...

«فالتَفَتُوا إليْها حتَّى ما بَقِيَ معَ النبيِّ ﷺ إلاَّ اثْنا عَشَرَ رَجُلًا ...

«فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ ﴿وإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وتَرَكُوكَ قائمًا﴾[1].

[أخرجه البخاري]

«بينما» ويُروى بينا...

«نُصَلِّي» أي ننتظر الصلاة... معناه حضرنا الصلاة وكان ﷺ يخطب يومئذ قائمًا...

«عِير» وهي الإبل التي تحمل التجارة طعامًا كانت أو غيره...

ذكر أهل الحديث أن دحية بن خليفة الكلبي قدم من الشام بعيرٍ له تحمل طعامًا وبرًّا وكان الناس إذ ذاك محتاجين فانفضوا إليها وتركوا النبي ﷺ ...

---

(١) سورة الجمعة، آية ١١.

«فالتفتوا إليها» أي فتفرق الناس... والمراد من الالتفات الانصراف...

«إلا اثنا عشَر» تعيين عدد الذين بقوا مع النبي ﷺ مثل ما هو في الصحيح وهم اثني عشر...

ووقع في تفسير الطبري «قال: قال لهم النبي ﷺ: كم أنتم؟... فعدوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلًا وامرأة»...

وروى العقيلي عن ابن عباس أن منهم الخلفاء الأربعة... وابن مسعود... وأناس من الأنصار...

«فنزلت هذه الآية» وفي تفسير ابن عباس... «عن أنس بينما نحن مع رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ سمع أهل المسجد صوت الطبول والمزامير... وكان أهل المدينة إذا قدمت عليهم العير من الشام بالبرّ والزبيب استقبلوها فرحا بالمعازف... فقدمت عير لدحية والنبي ﷺ يخطب... فتركوا النبي ﷺ وخرجوا... فقال النبي ﷺ: مَن ههنا؟... فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود... وسالم مولى أبي حذيفة... فإذا اثنا عشر رجلًا وامرأتان... فقال ﷺ: لو اتبع آخركم أولكم لاضطرم الوادي عليكم نارًا... فرفع العقوبة بكم عمن خرج... فنزلت الآية...

«انفضوا إليها» من الانفضاض وهو التفرق... يقال فضضت القوم فانفضوا اي فرقتهم فتفرقوا...

★ ★ ★

أقول: الاشارة في الموضوع... أنّ عبدالله بن مسعود... كان أحد الاثني عشر... الذين لم ينفضّوا... ومكثوا مع النبي ﷺ...

وهذا يشير الى عظيم ثباته... وحسبه أنه كان أحد الاثني عشر الذي منهم الخلفاء الأربعة!!!

ابن مسعود . . .
فقيهًا . . .
وإمامًا . . . ؟!

وقَرَأ ابنُ مسْعُودٍ بأربعيـنَ آيَـةً مِـنَ الأنفَـالِ وفـي الثـانِيـةِ مِـنَ المُفَصَّلِ » .

[أخرجه البخاري]

أي قرأ عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه بأربعين آية من سورة الأنفال في الركعة الأولى... وقرأ في الركعة الثانية بسورة من المفصل... وهو من سورة القتال أو الفتح أو الحجرات أوْ قاف الى آخر القرآن...

★ ★ ★

« جاءَ رجُلٌ إلى ابنِ مَسْعُودٍ . . . فقال:
« قرَأْتُ المُفَصَّلَ الليْلَةَ في رَكعَةٍ. . .
« فقال: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ ؟ . . .
« لَقَدْ عرَفْتُ النَّظَائرَ التي كان النبيُّ ﷺ يُقْرِنُ بَيْنَهُنَّ . . .
« فذَكَرَ عِشْرِينَ سُوَرةً مِنَ المُفَصَّلِ . . . سُورَتَيْنِ في كلِّ ركعةٍ .

[أخرجه البخاري]

« جاء رجل » هُوَ نهيك بن سنان البجلي...

« المفصَّل » المفصَّل من سورة القتال أو الفتح أو الحجرات أو قاف الى آخر القرآن...

« هَذًّا » الهذّ سرعة القطع وسرعة القراءة...

النظائر» جمع نظيرة وهي السورة التي يشبه بعضها بعضًا في الطول والقصر...

« فذكر عشرين سورة» أي فذكر ابن مسعود عشرين سورة التي هي النظائر...

وقد فسرها في رواية ابي داود... عن علقمة والأسود قال:

« أتى ابن مسعود رجل فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة...
« فقال: أهَذًّا كهذّ الشّعر... ونثرا كنثر الدقل...
« لكن النبي ﷺ كان يقرن النظائر...
« السورتين في ركعة...
« الرحمن والنجم في ركعة...
« واقتربت والحاقة في ركعة...
« والذاريات والطور في ركعة...
« والواقعة والنون في ركعة...
« وسألَ والنازعاتِ في ركعة...
« وويل للمطففين وعَبَسَ في ركعة...
« والمدثر والمزمِّل في ركعة...
« وهل أتى ولا أقسم في ركعة...
« وعم يتساءلون والمرسلاتِ في ركعة...
« وإذا الشمس كُوِّرَت والدخان في ركعة »...

وقال عياض:

في حديث ابن مسعود هذا يدل على أن هذا القدر كان قدر قراءته غالبًا... وأما تطويله فإنما كان في التدبر والترسل...

وقال بعضهم:

ليس في حديث ابن مسعود ما يدل على المواظبة بل فيه انه كان يقرن بين هذه السور المعينات إذا قرأ من المفصّل...

★ ★ ★

أقول: ها هنا يتلألأ ابن مسعود فقيهًا... وإمامًا عظيمًا...

رجل يقول له: قرأتُ المفصَّلَ الليلة في ركعة؟!...

إن الرجل قرأ القرآن من سورة الفتح إلى آخر القرآن... كل ذلك في ركعة في تهجده بالليل...

وكان المفروض أن يفرح به ابن مسعود ويشجعه على عظيم جُهْده في القراءة...

ولكن ابن مسعود الفقيه والإمام والمعلِّم والمُرَبِّي... الذي عَلَّمَه رسول الله ﷺ... وَجَّه الرجل الى التوازن... وأفهمه أن هذا الذي فعله أشبه شيء بقراءة الشِّعْر... وإنما الأهدى أن يقرأ قليلًا ويتدبر فيما يقرأ...

ثم تدفَّق ابن مسعود... بحْرا زخَّارا... يعلن النظائر التي كان ﷺ يقرن بينهن... سورَتَيْن سورَتَيْن في كل ركعة...

وذكر ابن مسعود عشرين سورة... وأحصاهن إحصاءً عجيبًا...

ما هذه العقول العجيبة... ومن أين لها هذا الابداع المعجِز؟!

جاءه الرجل فَرِحًا بما أتى... فوجَّهه الى التوازن... الى الإقلال من كمية القراءة... إلى اتباع رسول الله ﷺ... حين كان يقرن بين النظائر... سورتَين سورتين!!!

عِلْم... فِقْه... تربية... تبليغ... صِدْق... كل ذلك ارادة وجْه ربه الأعلى!!!

ابن مسعود . . .
يقول لتلميذه . . .
اسْجُدْ فإنَّكَ إمَامُنَا . . . ؟!

وقال ابنُ مَسْعُودٍ... لِتَمِيم بنِ حَذْلَمٍ... وهوَ غُلامٌ... فَقَرَأَ عَلَيْهِ سَجْدَةً...

« فقال: اسْجُدْ . . . فإنَّكَ إمَامُنَا فِيهَا » .

[أخرجه البخاري]

« تميم بن حَذْلَم » أبو سلمة الضبي... وهو تابعي... أدرك أبا بكر وعمر...

وصحب ابن مسعود . . .

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه « عن سليم بن حنظلة قال: قرأت على عبدالله بن مسعود سورة بني إسرائيل فلما بلغت السجدة قال عبدالله: اقرأها فإنك إمامُنا فيها »...

وقال البيهقي عن سليم بن حنظلة قال: « قرأت السجدة عند ابن مسعود... فنظر إليّ فقال: أنت إمامُنا فاسجد نسجد معك »...

وروى البيهقي من حديث عطاء بن يسار قال:

« بلغني أن رجلًا قرأ عند النبي ﷺ آية من القرآن فيها سجدة... فسجد الرجل...

« وسجد النبي ﷺ معه...

« ثم قرأ آخر آية فيها سجدة عند النبي ﷺ ...

« فانتظر الرجل أن يسجد النبي ﷺ ... فلم يسجد ...

« فقال الرجل: يا رسول الله قرأت السجدة فلم تسجد؟ ...

« فقال ﷺ : أنت إمامُنا فيها ... فلو سجدت سجدنا معك » .

« فقالَ » أي ابن مسعود ...

« فيها » أي في السجدة ...

ومعنى قوله « إمامُنا » أي متبوعنا لتعلق السجدة بنا من جهتك... اسجد أنت نسجد نحن أيضًا ... وليس معناه إن لم تسجد لا نسجد ...

وذلك لأن السجدة كما تتعلق بالتالي تتعلق بالسامع... فإن لم يسجد التالي لا تسقط عن السامع... وهذا مذهب أصحابنا (أي الحنفية)...

★ ★ ★

أقول: هاهنا يتلألأ ابن مسعود مُعَلِّمًا عظيمًا ... يسير على منهج تلقّاه من النبي ﷺ رأسا ...

يؤديه الى أصحابه وتلامذته في اتباع تام ... وصدق تام!!!

ابن مسعود . . .
يشهد مصرع . . .
أمَيَّة بن خَلَف . . . ؟!

عنْ عبْدِالله رضي الله عنه . . . قال :
« قَرَأَ النبيُّ ﷺ النَّجْمَ بمَكَّةَ . . .
« فسَجَدَ فِيها . . .
« وسَجَدَ مَن مَعَهُ . . .
« غَيْرَ شَيْخٍ أخَذَ كَفًّا منْ حَصًى أو تُرابٍ . . . فرَفَعَهُ إلى جَبْهتِه وقال : يَكْفِينِي هَذَا . . .
« فرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كافِرًا » .

[أخرجه البخاري]

« عن عبدالله » هو عبدالله بن مسعود . . .
« قرأ النجم » أي سورة والنجم . . .
« بمكة » وذلك قبل الهجرة . . .
« وسجد مَن معه » أي مع النبي ﷺ . . .
« غير شيخ » سمّاه في تفسير سورة النجم . . . عن أبي إسحاق : أميَّة بن خَلَف . . .

★ ★ ★

أقول : ابن مسعود . . . يروي ما شاهد من مشاهد الدعوة . . .

شهد أمَيَّة بن خَلَف حين استكبر أن يسجد عند قراءة سورة النجم . . .

ثم دارت الأيام وشهده حين قتل كافرًا في معركة بَدْر . . .

هناك عبقرية تتلألأ من ابن مسعود في رواية الخَبَر . . .

إنه يربط بين المشهدين . . . ويستخرج منهما عبرة وعظة . . .

شهد العُتُلّ المستكبر يأبى أن يسجد مع الساجدين . . .

وبعد سنين شهده وهو يُقتل في معركة بدْر . . . ويسقط ذليلًا مَذءومًا مهينًا . . .

كما استكبر . . . أذَلَّه المتكبِّر سبحانه . . .

وكما استعزَّ وانتفخ . . . أخذه الله أخذ عزيز مقتدر !!!

بكى النبيُّ . . .
صلى الله عليه وسلم . . .
فبكى ابن مسعود . . . ؟ !

عَنْ عبدِاللهِ بنِ عُمَرَ . . . رضي الله عنهما . . . قال :

« اشْتَكَى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ . . .

« فأتاهُ النبيُّ ﷺ يَعُودُهُ . . .

« معَ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ . . .

« وسَعْدِ بنِ أبي وقاصٍ . . .

« وعَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ . . . رضي الله عنهم . . .

« فلمَّا دَخَلَ عليْهِ فوَجَدَهُ في غاشِيَةِ أهْلِهِ . . .

« فقالَ : قَدْ قَضَى . . .

« قالُوا : لَا . . . يا رسولَ اللهِ . . .

« فَبَكَى النبيُّ ﷺ . . .

« فلمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكاءَ النبيِّ ﷺ بَكَوْا . . .

« فقال : ألَا تسمعُونَ . . . إنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بدَمْعِ الْعَيْنِ . . . ولَا بحُزْنِ القَلْبِ . . . ولكِنْ يُعَذِّبُ بهَذَا . . .

« وأشارَ إلى لسانِهِ . . .

« أوْ يَرْحَمُ . . .

« وإنَّ الميِّتَ يُعَذَّبُ ببُكاء أهلِهِ عليه . . .

« وكان عُمَرُ رضـي الله عنـه يَضْـرِبُ فيـهِ بـالْعَصَـا... ويَـرمِـي بالحجارَةِ... ويَحْثِي بالتُّرَابِ».

[أخرجه البخاري]

« اشتكى » أي مرض...

« شكوى » أي اشتكى سعد عن مزاجه لمرض له...

« في غاشية أهله » المراد به هاهنا ما كان يتغشاه من كرب الوجع الذي فيه... لا الموت لأنه بَرِىءَ من ذلك المرض وعاش بعده زمانا...

« فقال » أي رسول الله ﷺ...

« قد قضى » ؟... فيه معنى الاستفهام أي أقد خرج من الدنيا؟... ظن أنه قد مات فسأل عن ذلك...

« ألا تسمعون » أي ألا تجدون السماع؟...

« إنّ الله » ابتداء كلام...

« ولكن يعذب بهذا » يعني إذا قالوا سوءًا من القول وهجرا...

« أوْ يرحم » الله... يحتمل معنيين... أوْ يرحم ان لم ينفذ الوعيد فيه... أوْ يرحم من قال خيرا واستسلم لقضاء الله تعالى...

« وكان عمر » موصولا إلى ابن عمر... إنما كان عمر رضي الله عنه يضرب بعد الموت لقوله ﷺ « فإذا وجب فلا تبكين باكية »...

وقيل: إنما كان يضرب في بكاء مخصوص...

وفيه استحباب عيادة الفاضل المفضول...

واستحباب عيادة المريض...

وفيه النهي عن المنكر وبيان الوعيد عليه...

وفيه جواز البكاء عند المريض...

وفيه جواز اتباع القوم للباكي في بكائه...

★ ★ ★

وأقول: المشهد الذي نُركّز عليه هاهنا... أنّ ابن مسعود كان مع النبي ﷺ ... وهو يعود سعد بن عبادة...

فلما رأى ابن مسعود بكاء النبي ﷺ ... بكى هو الآخر...

وبكى كذلك عبد الرحمن... وسعد... فما معنى هذا؟!

معناه بالنسبة الى ابن مسعود...

أنَّه يتربَّى تربية عليا...

ويتزكَّى تزكية سامية...

لقد نال ابن مسعود شرَفًا... من بعده شرَفٌ... مِن بعده شرَف!!!

أنْ كان مع النبيّ ﷺ ... هذا شَرَف!!!

أنْ رأى النبيّ ﷺ يبكي... فبكى... هذا شَرَف!!!

أنْ سمع النبي ﷺ وهو يعظ الحاضرين...

وهذا شَرَف لابن مسعود عظيم!!!

ابن مسعود يقول...
هَكَذَا رَمَى الَّذِي...
أُنْزِلَتْ عَلَيهِ سُورَةُ الْبَقَرةِ...
صلى الله عليه وسلم...؟!

عنْ عبدِ الرحمن بنِ يَزيدَ...

« عَنْ عَبْدِاللهِ بن مَسْعُودٍ... رضي الله عنه...

« أنَّهُ انتهَى إلَى الْجَمْرَةِ الكُبْرَى... جَعَلَ الْبَيْتَ عَن يَسَارِهِ... ومِنًى عَنْ يَمينِهِ... وَرَمَى بسَبْعٍ... وقالَ:

« هَكَذَا رَمَى الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سورَةَ الْبَقَرَةِ ﷺ » .

[أخرجه البخاري]

« إلى الجمرة الكبرى » هي جمرة العقبة... آخر الجمرات الثلاث بالنسبة إلى المتوجه من مِنًى إلى مكة...

« ومِنًى عن يمينه » أي وجعل مِنًى عن يمينه...

« ورمى بسبع » أي بسبع حصيات... ويستفاد منه أن رمي الجمرة لا بد أن يكون بسبع حصيات... وهو قول أكثر العلماء...

ومن فوائده انه يرمي الجمرة وهو يجعل البيت عن يساره ومنًى عن يمينه...

وإذا رمى جمرة العقبة يكبر مع كل حصاة تكبيرة... وكانت عائشة تقول: إنما الحصى للجمار ليحفظ به التكبيرات...

★ ★ ★

أقول: قالوا: والصحيح الذي عليه الجمهور ان الواجب سبع كما صحح من حديث ابن مسعود... وجابر... وابن عباس... وابن عمر... وغيرهم...

إنَّ ابن مسعود أصبح مصدرًا يُرْجَع إليه في تفصيل المناسك!!!

ابن مسعود يقول:
كنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النبيِّ...
صلى الله عليه وسلم...
وهُوَ في الصَّلاةِ...؟!

عنْ عَبْدِالله... رضي الله عنه... أنَّهُ قال:
« كُنَّا نُسَلِّمُ على النبيِّ ﷺ وهوَ في الصَّلاةِ فَيَرُدُّ علَيْنا...
فلمَّا رَجَعْنا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنا علَيْهِ...
« فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنا وقالَ: إنَّ في الصَّلاةِ شُغْلًا ».

[أخرجه البخاري]

« وهو في الصلاة فيرد علينا » أي يرد السلام علينا وهو في الصلاة...
« فلما رجعنا من عند النجاشي » وكل مَن مَلَك الحبشة يسمى النجاشي...

قال ابن إسحاق: لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء... قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها مَلِكا لا يُظلم عنده أحد... فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا الى الله تعالى بدينهم... فكانت أول هجرة في الاسلام...

وقال الواقدي:
« كانت هجرتهم الى الحبشة في رجب سنة خمس من النبوة...
وإن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة... وانهم

انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب... فاستأجروا سفينة بنصف دينار الى الحبشة وهم:

عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ...

وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل...

والزبير بن العوام...

ومصعب بن عمير...

وعبد الرحمن بن عوف...

وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أمية...

وعثمان بن مظعون...

وعامر بن ربيعة العنزي وامرأته ليلى بنت أبي حثمة...

وأبو سبرة بن أبي رهم...

وحاطب بن عمرو...

وسهيل بن بيضاء...

وعبدالله بن مسعود... رضي الله عنهم... وقال الآخرون:

كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ولما رجعوا من عند النجاشي كان رجوعهم من عنده إلى مكة... وذلك أن المسلمين الذين ذكرناهم انهم هاجروا الى الحبشة بلغهم أن المشركين أسلموا فرجعوا إلى مكة فوجدوا الأمر بخلاف ذلك... واشتد الأذى عليهم فخرجوا إليها أيضًا... فكانوا في المرة الثانية أضعاف الأولى...

وكان ابن مسعود مع الفريقين...

واختلف في مراده بقوله فلما رجعنا هل أراد الرجوع الأول أو الثاني؟...

فمالت جماعة الى الأول... وقالوا تحريم الكلام كان بمكة...

ومالت طائفة الى الترجيح... فقالوا بترجيح حديث ابن مسعود...

فإنه حكى لفظ النبي ﷺ . . .

وقالت طائفة: إنما أراد ابن مسعود رجوعه الثاني . . .

وقد ورد أنه قدم المدينة والنبي ﷺ يتجهز إلى بدْر .

وروى الحاكم في مستدركه . . . عن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ الى النجاشي ثمانين رجلًا فذكر الحديث بقوله وفي آخره « فتعجل عبد الله بن مسعود فشهد بدْرًا » . . .

وقال ابن إسحاق: ان المؤمنين وهم بالحبشة لما بلغهم ان النبي ﷺ هاجر إلى المدينة رجع منهم إلى مكة ثلاثة وثلاثون رجلًا . . . فمات منهم رجلان بمكة . . . وحبس بها منهم سبعة . . . وتوجه إلى المدينة أربعة وعشرون رجلًا فشهدوا بدرًا . . .

فبان من ذلك أن ابن مسعود كان من هؤلاء . . . وأن اجتماعهم بالنبي ﷺ كان بالمدينة . . .

« شُغُلًا » بضم الشين والغين . . . وبسكون الغين . . . أي نوعا من الشغل لا يليق معه الاشتغال بغيره . . . أو التنوين للتعظيم . . . أي شُغُلا عظيما وهو اشتغال بالله تعالى دون غيره في مثل هذه الحالة . . .

ما يستفاد منه؟!

فيه دلالة على أن الكلام كان مباحًا في الصلاة ثم حرم . . .

واختلفوا متى حرم؟ . . .

فقال قوم بمكة واستدلوا بحديث ابن مسعود ورجوعه من عند النجاشي . . .

وقال آخرون بالمدينة . . . بدليل حديث زيد بن أرقم فإنه من الأنصار . . .

وقالوا: ابن مسعود لما عاد إلى مكه من الحبشة... رجع إلى النجاشي إلى الحبشة في الهجرة الثانية... ثم ورد على رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز لبدر...

وقال الخطابي: إنما نسخ الكلام بعد الهجرة بمدة يسيرة...

قال أبو داود... «عن عبدالله قال: كنا نسلم في الصلاة ونأمر بحاجتنا فقدمت على رسول الله ﷺ وهو يصلي... فسلمت عليه... فلم يرد عليّ السلام... فأخذني ما قدم وحدث... فلما قضى رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى يحدث من أمره ما يشاء وإن الله قد أحدث من أمره أن لا تكلموا في الصلاة... فردّ عليّ السلام».

★ ★ ★

أقول: حديث عظيم... عن ابن مسعود... أصبح أصلاً في حُكْم من أحكام فريضة الصلاة... حُكْم تحريم الكلام في الصلاة!!!

ابن مسعود يسأل: . . .
يا رسولَ اللهِ . . .
أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ . . . ؟!

قال عبدُاللهِ بنُ مَسْعُودٍ . . . رضي الله عنه:
« سألْتُ رسولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ:
« يا رسولَ اللهِ . . . أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ . . .
« قال: الصَّلاَةُ على مِيقاتِها . . .
« قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ . . .
« قال: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ . . .
« قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ . . .
« قال: الجهادُ في سَبيلِ اللهِ . . .
« فَسَكَتُّ عنْ رسول اللهِ ﷺ . . .
« ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي» .

[أخرجه البخاري]

اختلاف الأحاديث في أفضل الأعمال لاختلاف السائلين... واختلاف مقاصدهم... أو باختلاف الوقت... أو بالنسبة إلى بعض الأشياء...

وقال الطبري:

إنما خص صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات...

فإن مَن ضيع الصلاة المفروضة حتى خرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع...

ومَن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برّا...

ومَن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك...

★ ★ ★

وأقول: إنَّ ابن مسعود هنا يسأل رسول الله ﷺ عن القمة مِنَ العَمَل...

يريد جوابًا جامعًا من رسول الله ﷺ... الذي أُعْطِيَ جوامع الكَلِم...

لِينتظمَ ابن مسعود على القمة التي بيَّنها له رسول الله ﷺ !!!

ابن مسعود . . .
يتألَّم لتغيُّر الأحوال . . .
في زمانه . . . ؟!

قال عبْدُاللهِ . . . رضي الله عنه:

« لَقَدْ أتَاني اليَوْمَ رَجُلٌ . . . فسألَني عنْ أمْرٍ . . . ما دَرَيْتُ ما أرُدُّ علَيهِ . . .

« فقال: أرأيْتَ رجُلًا مُؤْدِيًا نَشِيطًا . . . يَخْرُجُ مَعَ أُمَرائِنا في المغازِي . . . فَيَعْزِمُ علَيْنا في أشياءَ لا نُحْصيها . . .

« فقُلْتُ لَهُ: واللهِ ما أدْرِي ما أقولُ لَكَ! . . .

« إلّا أنّا كنَّا معَ النبيِّ ﷺ . . . فعَسَى أن لَا يَعْزِمَ علَيْنا في أمْرٍ إلا مَرَّةً حتَّى نَفْعَلَهُ . . .

« وإنَّ أحَدَكُمْ لَنْ يَزَالَ بخَيْرٍ ما اتَّقَى اللهَ . . .

« وإذَا شَكَّ في نَفْسِهِ شَيْءٌ . . . سألَ رَجُلًا فشَفَاهُ مِنْهُ . . .

« وأَوْشَكَ أنْ لَا تَجِدُوهُ! . . .

« والَّذي لا إلَهَ إلا هُوَ ما أذْكُرُ ما غَبَرَ مِنَ الدُّنيا إلا كالثَّغْبِ شُرِبَ صَفْوُهُ وبَقِيَ كَدَرُهُ » .

[أخرجه البخاري]

« رجل » فاعل أتاني ولم يدر اسمه . . .

« أرأيت » أخبرني . . .

« مُؤْدِيا » يعنى ذا أداة للحرب كاملة . . .

« نشيطا » من النشاط وهو الأمر الذي تنشط له وتخف اليه وتؤثر فعله...

« لا نُحْصيها » أي لا نطيقها...

« فيعزم علينا » أي الأمير يشدد علينا في أشياء لا نطيقها...

« حتى نفعله» فكأنه قال: أخبرني عن حُكم هذا الرجل يجب عليه مطاوعة الأمير أم لا ؟... فجوابه وجوب المطاوعة...

« وإذا شك في نفسه شيء » أي مما تردد فيه... أنه جائز أو غير جائز ؟...

« فشفاه منه » أي أزال مرض التردد فيه وأجاب له بالحق...

« وأوشَكَ أن لا تجدوه » أي كاد أن لا يجدوا في الدنيا أحدًا يفتي بالحقّ... ويشفي القلوب عن الشُّبه والشكوك...

« ما غبر » ما بقي...

« كالثَّغْبِ » أوْ كالثَّغَبِ... وهو الماء المستنقع في الموضع المطمئن... شبَّه بقاء الدنيا بباقي غدير ذهب صفوه وبقي كدره!!!

وإذا كان هذا في زمن ابن مسعود... وقد مات هو قبل مقتل عثمان رضي الله عنه... ووجود تلك الفتن العظيمة... فماذا يكون اعتقاده فيما جاء بعد ذلك؟!... ثم بعد ذلك؟!... وهلَم جرا!!!

★ ★ ★

رجل يسأل ابن مسعود سؤالا مُحَيِّرًا... خلاصته:

هل تجب طاعة الأمير إذا أمَرَ بشيء لا يُطاق؟!!

فماذا كان جواب ابن مسعود؟!

ـ ما دَرَيْتُ ما أرُدُّ عليه!!!

ـ واللهِ ما أدْرِي ما أقولُ لكَ!!!

ـ إلا أنّا كُنّا مع النبي ﷺ فعسى أن لا يَعْزِم علينا في أمر إلا مرَّةً حتى نَفْعَلَهُ!!!

- وإنّ أحدَكم لن يزال بخَيْرٍ ما اتَّقَى الله!!!
وإذا شَكَّ في نفسه شيء سأل رجلًا فشفاه منه!!!
- وأوْشَكَ أنْ لا تجِدُوهُ!!!

هذه اجابات ابن مسعود... وهي تدل على الحيرة الشديدة... ماذا يقول للسائل... وقد اختلطت الأمور على الناس؟!

ثم انظر إلى تألّم ابن مسعود: وأوْشَكَ أنْ لا تجدُوهُ!!!

سوف يختفي من يُفتي بالحقّ... لأنَّ الحُكْم سوف يتجه إلى الظلم... ويبتعد شيئًا فشيئًا عن الحقّ!!!

وأخيرًا أقول: هذه آلام ابن مسعود في نحو سنة ثلاثين هجرية فكيف تكون آلامه اليوم في سنة ١٤١٥ هجرية؟!!

حيث بَعُدَ الناس عن الحقّ بُعْدًا سَحيقًا؟!!!

عبدالله بن مسعود ...
يعلن معجزة ...
للنبيّ صلى الله عليه وسلم ؟!

أخرج البخاري في صحيحه:

« حدثني عَمْرُو بنُ ميمونٍ ..

« أنه سمع عبدَاللهِ بنَ مسعودٍ - رضي الله عنه -

« حَدَّثَ عن سعدِ بنِ مُعاذ ..

« أنَّهُ قال كان صديقًا لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ ..

« وكان أُميَّةُ إذا مرَّ بالمدينةِ نزلَ على سعْدٍ ..

« وكان سعدٌ إذا مرَّ بمكةَ نزل على أُميَّةَ ..

« فلمَّا قدِمَ رسولُ اللهِ، ﷺ .. المدينةَ ..

« انطلقَ سعدٌ مُعتمرًا ..

« فنزلَ على أميَّة بمكةَ ..

« فقال لأُميَّةَ: انظُرْ لي ساعةَ خَلوة .. لعلِّي أن أطوفَ بالبيتِ ..

« فخرجَ بهِ قريبًا من نصفِ النهارِ ..

« فلقيَهُما أبو جهلٍ ..

« فقالَ: يا أبا صفْوانَ: مَن هذا معكَ ؟

« فقالَ: هذا سعْدٌ ..

« فقال لهُ أبو جهْلٍ: ألا أراكَ تطوفُ بمكةَ آمنًا .. وقدْ أوَيْتُمُ الصُّباةَ،

وزعمتُمْ انكم تنصرونَهُم وتعينونهم، أمّا واللهِ لوْلا انَّكَ مع أبي صفوانَ، ما رَجَعْتَ إلى أهلِك سالمًا...

« فقالَ لهُ سعْدٌ.. ورَفَعَ صوْتَهُ عليه: اما واللهِ لئِن منعْتَني هذا، لامنَعَنَّكَ ما هوَ أشدُّ عليكَ منهُ، طريقَكَ على المدينةِ...

« فقال له أُميَّةُ: لا ترْفَعْ صوْتَكَ يا سعْدُ على أبي الحَكمِ، سيِّدِ أهلِ الوادي..

« فقالَ سعدٌ: دَعْنا عنْكَ يا أميَّةُ..

« فواللهِ.. لقَدْ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ.. يقولُ إنهُمْ قاتِلُوكَ!!!

« قال: بمكةَ؟!

« قال: لا أدري..

« ففزِعَ لذلكَ أُميةُ فزَعًا شديدًا...

« فلمَّا رجَعَ أميةُ إلى أهلهِ.. قالَ.. يا أُمَّ صفوانَ.. ألمْ تَرَيْ ما قال لي سعْدٌ؟!..

« قالتْ: وما قالَ لكَ؟.

« قالَ: زَعَمَ أنَّ محمدًا اخبرَهُم أنهم قاتِليَّ!.. فقلتُ لهُ: بمكةَ؟.. قالَ: لا أدْري..

« فقالَ أُميَّةُ: واللهِ لا أخرُجُ من مكَّةَ..

« فلمَّا كانَ يومُ بَدْرٍ.. استنفرَ أبو جهلٍ الناسَ قالَ: أدرِكُوا عِيرَكم..

« فكرِهَ أميةُ ان يخرُجَ..

« فأتاهُ ابو جهلٍ فقال: يا أبا صفوانَ.. إنَّكَ متىَ يراكَ الناسُ قدْ تخلَّفتَ وانتَ سيدُ أهلِ الوادِي.. تخلَّفُوا معكَ.

« فلم يَزَلْ به أبو جهلٍ.. حتى قال: امّا إذ غلبْتَني.. فوالله لاشترِيَنَّ أجوَدَ بعيرٍ بمكةَ..

« ثمّ قالَ أُميَّةُ: يا أمَّ صفوانَ.. جهِّزيني..

« فقالت له: يا أبا صفوانَ.. وقدْ نسيتَ ما قالَ لكَ اخوك اليثربيُّ؟!.
« قال: لا .. ما أريدُ أنْ أجُوزَ معهُم إلا قريبًا..
« فلمَّا خرجَ اميةُ.. أخَذَ لا ينزلُ منزِلًا إلا عَقَلَ بعيرَهُ..
« فلم يَزَلْ بذلكَ..
« حتى قتلهُ اللهُ عزّ وجلّ ببدْرٍ ».

★

قال الامام العيني في شرح الحديث:
« مطابقته للترجمة ظاهرة، لأنه ﷺ، اخبر بمن يُقتل ببدر..
« فهذا أمية قتل ببدر..
« وهذا من أبلغ معجزاته، ﷺ..
« الصُّباة: جمع الصابي، وهو المائل عن دينه إلى دين غيره.
« أخبرهم: أي أخبر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أصحابه، رضي الله تعالى عنهم..
« استنفر: طلب الخروج من الناس..
« عِيركم: الابل التي تحمل الميرة.
« أخوك اليثربيّ: أراد به سعدًا، والمراد الأخوة بينهما بحسب المعاهدة والموالاة..
« ان أجوز: أي أنفذ، وان أسلك.
« حتى قتله الله: أي قدّر الله قتله بيد بلال مؤذن رسول الله.. »

★

ماذا في هذا الحديث النادر العجيب؟!!
فيه معجزة للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم..
لم تكن غزوة بدر قد وقعت بعد، ولم يكن أميةُ بن خَلَف يعلم شيئًا عن

مصرعه، ولا أحد يعلم عن ذلك شيئًا، فهو غيب من الغيوب...

بل لم يكن أحد يدري أن هناك معركة سوف تحدث اسمها معركة بدر!!!

ومع هذا أخبرهم النبي، ﷺ، أنهم قاتلوه!!!

ثم ماذا؟

ثم هذا المشهد، من هذا البطل الفذّ، سعد بن مُعاذ!!!

أبو جهل: يا أبا صفوانَ، مَن هذا معكَ؟!

أميةُ: هذا سعدٌ...

أبو جهل: (موجهًا الحديث إلى سعد) الا أراك تطوف بمكة آمنًا، وقد أوَيْتم الصُّباةَ.. وزعمتم انكم تنصرونهم وتُعينونهم، اما والله لولا أنك مع أبي صفوانَ، ما رجعتَ إلى أهلِك سالماً...

سعد: (يرفع صوته على أبي جهل) اما والله لئن منعتني هذا، لأمنعنَّك ما هو أشدُّ عليك منه.. طريقك على المدينةِ..

أُميّةُ: لا ترفعْ صوتَك يا سعدُ على أبي الحَكم، سيدِ أهلِ الوادي..

سعد: دعْنا عنك يا أميةُ، فواللهِ، لقد سمعتُ رسولَ الله، ﷺ.. يقولُ إنهم قاتلوكَ..

أُميةُ: بمكةَ؟!.

سعد: لا أدري!..

(أميةُ يفزعُ فزعًا شديدًا).

★

هذا هو المشهد الخالد، بين سيد الوادي، أبي جهل..

وبين سيد الأوس، سعد بنُ معاذ..

أبو جهل يهدده: لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعتَ إلى أهلك سالمًا..

فماذا كان جواب البطل؟!

واللهِ لئن منعتني هذا، لأمنعنَّك ما هو أشدُّ عليك منه، طريقك على المدينة؟!!

« تهديد بتهديد.. لئن منعتني الطواف بالبيت آمنًا، لامنعنك المرور على المدينة آمنًا!!!

قوة لا تُقهر..

وعزَّة لا تلين، لكافر مهما كان موضعه!!!

فلما أراد أميةُ ان يُخفِّف من شدة سعد على أبي جهل..

صفَع سعدٌ أميةَ صفعة زلزلته زلزالًا شديدًا..

« دعنا عنك يا أميةُ..

« فواللهِ لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ إنهم قاتلوكَ»!!

فارتعدت مفاصل العُتُلِّ وجعل يقول: بمكة؟!

فقال البطل سعد بن مُعاذ: لا أدري!!!

فما معنى هذا كله؟!

معناه أن سعدًا، لا يخشى أبا جهل، وهو في عنفوانه وداخل بلده مكة..

ولا يُقيم وزنًا لصاحبه، أميةَ بن خلف..

وإنما صفَع ابا جهل.. تم استدار فصفع أميةَ صفعة أخرى.. وكدلك كانوا..

يُسْقَوْن من سلسبيل:

﴿الذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ...

﴿وَيَخْشَوْنَهُ..

﴿وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله...﴾[1]!!!

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٩.

ابن مسعود ...
يسجل معجزة ...
انشقاق القَمَر ...؟!

عنْ عبدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ ... رضي الله عنه ... قال:
« انْشَقَّ الْقَمَرُ ... على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ ...
« فقالَ النبيُّ ﷺ: اشْهَدُوا . »

[أخرجه البخاري]

وذلك أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية.. فأراهم انشقاق القمر... وفي لفظ: فقال القوم هذا سحر ابن أبي كبشة فاسألوا السفار يقدمون عليكم فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق وإلا فهو سحر... فقدم السفار فسألوهم فقالوا: رأيناه قد انشق...

وروى الترمذي أيضاً من حديث عبدالله بن مسعود قال:
« بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنًى ...
« فانشق القمر فلقتين ...
« فلقة من وراء الجبل ... وفلقة دونه ...
« فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا ... اقتربت الساعة وانشق القمر » . وقال هذا حديث حسن صحيح.

« على عهد رسول الله ﷺ » أي على زمنه وفي أيامه...
« شَقَّتَيْن » بكسر الشين وفتحها...
« اشهدوا » من الشهادة...

انما قال ذلك لكونه معجزة عظيمة محسوسة... خارجة عن المعجزات...

ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض!...

لأمرين: أحدهما قد ذكرنا صحة قول السفار برؤية ذلك...

والآخر لم ينقل لنا عن أهل الأرض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق...

ولو نقل الينا عمن لا يجوز نقله لشدتهم في الكذب لما كانت علينا حجة...

إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض... فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين...

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء!!!

لأنه ظهر في ملكوت السماء... والخطب فيه أعظم... والبرهان به أظهر... لأنه خارج عن جملة طباع ما في هذا العالم من العناصر!!!

★ ★ ★

وفي رواية أخرى للبخاري:

« عن عبدِاللهِ... رضي الله عنه... قال:

« انشَقَّ القَمَرُ...

« ونَحْنُ معَ النبيِّ ﷺ... بمِنًى...

« فقال: اشْهَدُوا...

« وذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ ».

[أخرجه البخاري]

« ونحن مع النبي » (ﷺ) وفي رواية مسلم « بينما نحن مع النبي ﷺ بمنًى إذ انفلق القمر »...

« اشهدوا » أي اضبطوا هذا القدر بالمشاهدة

« وذهبت فرقة نحو الجبل » أي ذهبت قطعة في ناحية جبل حراء... وبقيت ناحية في مكانه!!!

وقال الكرماني: والمشهور أنهما التأما في الحال!!!

★ ★ ★

أقول: وسجَّل ابن مسعود تلك المعجزة الباهرة...

إنه رآها رأي العين...

فهو يسجل ما شهد!!!

ابن مسعود...

يقول...

أأَنْتَ أبُو جَهْلٍ...؟!

عن أَنَسٍ... رضي الله عنه... قال:

« قالَ النبيُّ ﷺ: مَن يَنْظُرُ ما صَنَعَ أبُو جَهْلٍ؟...

« فانْطَلَقَ ابنُ مَسْعُودٍ... فوَجَدَهُ قد ضَرَبَهُ ابْنا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ...

« قال: آأَنْتَ أبُو جَهْلٍ؟!...

« قال: فأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ...

« قال: وهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟...

« أوْ: رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ...

« قال أحمد بن يونُس: أنتَ أبو جَهْلٍ؟ »

[أخرجه البخاري]

« ابنا عفراء » يعني معاذ أو معوذا... وقيل إن معاذ بن عمرو هو الذي قطع رجل ابي جهل وصرعه... ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق... فدفق عليه عبدالله بن مسعود... واحتزَّ رأسه...

« حتى بَرَدَ » أي حتى مات...

« قال » أي ابن مسعود: أنت أبو جهل؟!... أو أنت تكون أبا جهل... وخاطبه بذلك مقرعًا له ومتشفيًا منه لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى...

وقال عياض: ان ابن مسعود إنما وضع رِجْله على عنق أبي جهل ليصدق رؤياه...

فإنه رأى ذلك في المنام...

قال: وزعم رجال من بني مخزوم انه قال: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعْبًا...

قال: ثم احتززت رأسه... فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: هذا رأس عدوّ الله أبي جهل...

فقال: والله الذي لا إله إلا هو... «فحلف له»

ويقال: مرّ ابن مسعود على أبي جهل فقال: الحمدلله الذي أخزاك وأعزّ الإسلام...

فقال أبو جهل: أتشتمني يا رويع هُذَيل؟!

فقال: نعم والله وأقتلك؟...

فحذفه أبو جهل بسيفه وقال: دونك هذا إذًا...

فأخذه عبدالله بن مسعود فضربه حتى قتله...

وجاء الى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله... قتلت أبا جهل...

فقال: الله الذي لا إله إلا هو؟... فحلف له...

فأخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيده...

ثم انطلق معه... حتى أراه إياه... فقام عنده وقال: الحمدلله الذي أعز الاسلام وأهله... ثلاث مرات...

وعن أبي اسحاق: لما جاء النبي ﷺ البشير بقتل أبى جهل استحلفه ثلاثة ايمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا... فحلف له... فخرَّ ساجدًا...

«وهل فوق رجل قتلتموه» أي لا عار عليّ في قتلكم إياي...

قال ابو مِجْلز: قال أبو جهل: فلو غير أكّار قتلني؟!...

وهو الزارع... وأراد بذلك ابني عفراء لأنهما من الأنصار وهم أصحاب زرع ونخل... وأشار بذلك إلى تنقيصهم!!!

★ ★ ★

أقول: الكِبْر الى آخر لحظة من حياة أبي جهل!!!
هذا الفرعون اللعين!!!

يا أبا عبْدِ الرَّحمن ...
أيَسْتَطِيعُ هَؤُلاءِ الشَّبَابُ ...
أنْ يَقْرَؤُوا كمَا تَقْرَأُ ...؟!

عنْ عَلْقَمَةَ ... قال:

« كُنَّا جُلُوسًا معَ ابنِ مَسْعُودٍ ...

« فجاءَ خَبَّابٌ فقالَ: يا أبا عَبْدِ الرحمنِ ... أيَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الشبَابُ أنْ يَقْرَؤُوا كما تَقْرَأُ ؟ ...

« قال: أمَا إنَّكَ لوْ شِئْتَ أمَرْتُ بَعْضَهُمْ فيَقْرَأُ عليْكَ؟ ...

« قال: أجَلْ ...

« قال: اقْرَأْ يا عَلْقَمَةُ ...

« فقال زَيْدُ بنُ حُدَيْرٍ - أخو زِيَادِ بنِ حُدَيْرٍ: أتأمُرُ عَلْقَمَةَ أنْ يَقْرَأَ ولَيْسَ بأقرَئنا ؟! ...

« قال: أمَا إنَّكَ إنْ شِئْتَ أخْبَرْتُكَ بما قال النبيُّ ﷺ في قوْمِكَ وقومِهِ ...

« فقَرَأْتُ خَمْسِينَ آيَةً مِن سُورَةِ مَرْيَمَ ...

« وقال عبْدُاللهِ: كيْفَ تَرَى؟ ...

« قال: قَدْ أحْسَنَ ...

« قال عبْدُاللهِ: ما أقْرَأُ شَيْئًا إلا وهُوَ يَقْرَؤُهُ ...

« ثمَّ التَفَتَ إلى خبَّابٍ وعليْهِ خاتَمٌ مِن ذَهَبٍ فقال: أَلَمْ يأن لهذا الخاتَمِ أن يُلْقَى؟ ...

« قال: أما إنَّكَ لَنْ تَرَاهُ عليَّ بَعْدَ الْيَوْمِ ...
« فألْقاهُ » .

[أخرجه البخاري]

« جُلوسًا » جمع جالس...
« خَبَّابٌ » هو ابن الأرت... الصحابي المشهور...
« يا أبا عبد الرحمن » هو كنية عبدالله بن مسعود...
« أيستطيع » الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار...
« أمرتُ بعضهم فيقرأ عليك » وفي رواية « فقرأ » بصيغة الفعل الماضي...
« أجل » أي نعم...
« فقال زيد بن حُدَيْر » وهو أخو زياد بن حُدَيْر... وزياد من كبار التابعين أدرك عمر رضي الله تعالى عنه... وله رواية في سنن أبي داود... ونزل الكوفة... وولي إمرتها مرة... وهو أسدي من بني أسد...
« أتأمُرُ » الهمزة فيه للاستفهام...
« أمَا » وهو حرف استفتاح بمنزلة ألا... ويكون بمعنى حقا... والمعنى هنا على الأول...
« في قومِك وقومِهِ » يشير بهذا إلى ثناء النبي ﷺ على النخع لأن علقمة نخعي... وإلى ذم بني أسد... وزياد بن حُدَيْر أسدي...
أما ثناؤه على النخع... فقد أخرجه أحمد والبزار...
« عن ابن مسعود قال: شهدت رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحي من النخع ويثني عليهم حتى تمنيت اني رجل منهم » ...
وأما ذمّه لبني أسد ففي حديث ابي هريرة... أن جهينة وغيرها خير من بني أسد وغطفان...
وقال عبدالله: كيف ترى؟ » وخاطب عبدالله بهذا خبَّابا... لأنه هو

الذي سأله أولًا... وهو الذي قال: قد أحسن... وفي رواية أحمد... فقال خبَّاب: أحسنت...

« وقال عبدالله: ما أقرأ شيئًا إلا وهو يقرؤه» يعني علقمة... وفيه منقبة عظيمة لعلقمة...

حيث شهد ابن مسعود رضي الله عنه انه مثله في القراءة...

« ألم يأن » أي ألم يجئ وقت القاء هذا الخاتم؟...

وفيه تحريم لباس الذهب على الرجال... إمّا للتشبيه بالنساء... أو للكبر والتيه... وأمَّا لبس خبَّاب الخاتم من الذهب فيحمل على أنه لم يبلغه التحريم... لأن بعض الصحابة كان يخفى عليه أمر الشارع...

وفيه الرفق في الموعظة وتعليم من لا يَعلم...

★ ★ ★

وأقول: ها هنا أستاذية عبدالله بن مسعود واضحة... مُجمع عليها من الصحابة والتابعين...

خبَّاب الصحابي الجليل يتوجه بسؤال جميل الى الأستاذ الجليل عبدالله بن مسعود:

يا أبا عبد الرحمن... أيستطيع هؤلاء الشباب... أن يقرؤوا كما تقرأ؟!...

إنَّ خبَّابًا هنا يسأل استاذًا عظيمًا... وقد أجمع الصحابة... والتابعون... ومَن سواهم على أستاذيته في علوم القرآن...

ثمَّ انظر الى أدب الخطاب بين صحابي وصحابي:

أمَا إنك لو شئتَ أمرْتُ بعضَهم فيقرأ عليك؟...

لو شئتَ يا أخي يا خبّاب؟!!

قال خبّاب: أجل...

نعم يا أخي... مَتِّعْنا بذلك!!!

قال ابن مسعود: اقرأ يا علقمةُ... اختار الأستاذ تلميذا له... عَلَّمَه علوم القرآن... اختار تابعيًا جليلًا... شابا من الشباب...

يقول علقمة... الشاب الجليل: فقرأتُ خمسين آيةً من سورة مريم!!!

أي من أَوَّلِها الى قوله:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِن رَحْمَتِنا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1]...

ثم ماذا؟!...

ثم ترك الأستاذ الجليل الحُكْم لأخيه الصحابي الجليل...

وقال له في أدَب وحُبّ: كيف تَرَى؟!...

قال خبَّابٌ: قد أحسَنَ!!!

قال عبدالله بن مسعود: ما أقرأُ شيئًا إلا وهو يقرؤُه!!!

ونال علقمة شهادة من أستاذين جليلين صحابيين عظيمين...

شهادة خبَّاب... قَدْ أحسَنَ!!! وشهادة ابن مسعود... ما أقرأُ شيئًا إلا وهو يقرؤُهُ!!!

أي أنَّ جميع ما يحفظ ابن مسعود من القرآن... وهو يحفظه كله... فإن علقمة يحفظه!!!

وجميع ما يُحْسن قراءته من القرآن... أي ابن مسعود... وهو يحسن قراءته كله... فإن علقمة يحسن قراءته كما تعلّم من أستاذه الصحابي الجليل... الإمام العظيم عبدالله بن مسعود!!!

ما أعظم مجالسهم!!!

لقد منح الإمام ابن مسعود أعظم دكتوراه في علوم القرآن... للدكتور علقمة...

وشارك في مناقشة هذه الرسالة... خبَّاب بن الأرت... الصحابي الجليل المشهور!!!

كأنَّ شيئًا مِن هذا قد كان!!!

---

(١) سورة مريم، آية ٥٠.

سَأَلْتُ رسولَ اللهِ . . .
صلى الله عليه وسلم:
أيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللهِ أكْبَرُ . . . ؟!

عنْ عَبْدِاللهِ . . . رضي الله عنه . . . قال:

« سَأَلْتُ . . .

« أوْ سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ :

« أيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللهِ أكْبَرُ ؟ . . .

« قال : أنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . . .

« قُلْتُ : ثُمَّ أيّ ؟ . . .

« قال : ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ وَلَدَك خَشْيَةَ أن يَطْعَمَ مَعَكَ . . .

« قُلْتُ : ثُمَّ أيّ ؟ . . .

« قال : أنْ تُزانِيَ بحَليلَةِ جارِكَ . . .

« قال : وَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ تصْدِيقًا لِقَوْل رسُول اللهِ ﷺ . . .

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالْحَقِّ﴾[1].

[أخرجه البخاري]

« عن عبدالله » هو ابن مسعود . . .

« أوْ سُئِلَ » شك من الراوي . . .

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٨ .

« أكبر » وفي رواية مسلم أعظم...

« نِدًّا » أي نظيراً...

« خشية أن يطعم معك » أي لأجل خشية اطعامه معك... وكانت عادتهم قتل الأولاد لخشيتهم ذلك...

« بحليلة جارك » أي بامرأته... والحليلة على وزن فعيلة... إمّا من الحلّ لأنها تحل له... أو من الحلول لأنها تحل معه ويحل معها...

★ ★ ★

هنا يسأل ابن مسعود: أيُّ الذنبِ عند الله أكبرُ؟...

وفي حديث مضى يسأل: يا رسولَ اللهِ... أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟...

فما معنى هذا؟!

مرَّةً يسأل عن أعلى الأعمال عند الله... عن قمة قمم الأعمال!!!

وهذه المرَّة يسأل عن أكبر ذنب عند الله... عن أعظم الذنوب عند الله!!! فلماذا؟!

ربما لأن القضية التي تشغله هي موقفه يوم القيامة...

يريد أن يعلم أفضل الأعمال عند الله ليأتيها... فيبلغ القمة بإذن الله وتوفيقه...

كما يريد أن يعلم أعظم الذنوب عند الله فيبتعد عنها خوفًا من الله... نفْسٌ طيبة مباركة... تريد أن تتزكّى!!!

ابن مسعود . . .
يُعَلِّم العلماء . . .
على مَرِّ التاريخ . . . ؟!

عنْ مَسْرُوق . . . قال:

« دَخَلْنا على عبدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ . . . قال:

« يا أيُّها النَّاسُ . . .

« مَن عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ . . .

« وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ : اللهُ أَعْلَمُ . . .

« فإنَّ مِنَ العِلْمِ أنْ يَقُولَ لِما لا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ . . .

« قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لنبيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عليْهِ مِنْ أَجْرٍ وما أنا مِنَ المتَكَلِّفِين﴾[1] . . .

« وسأُحَدِّثُكُمْ عَن الدُّخَان . . .

« إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ دَعَا قُرَيْشًا إلى الإسلامِ فابطؤوا علَيْهِ . . .

« فقالَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ . . .

« فأخَذَتْهُمْ سَنَةٌ فحَصَّتْ كلَّ شَيْءٍ . . . حتَّى أكلُوا الميْتَةَ والجُلُودَ . . . حتى جَعَلَ الرجُلُ يَرَى بيْنَهُ وبيْنَ السَّمَاءِ دُخانًا مِنَ الجُوعِ . . .

« قال اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿فارْتقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بدُخَانٍ مُبِينٍ ★ .

---

(١) سورة صۤ، آية ٨٦.

﴿يَغْشَى الناسَ هَذَا عذابٌ أليمٌ ★

قال فَدَعَوْا: ﴿ رَبَّنا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إنَّا مُؤمِنُونَ ★

﴿أنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رسولٌ مُبِينٌ★ ثمّ تَوَلَّوْا عنْهُ وقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ★ إنَّا كاشِفُو العَذَابِ قليلًا إنَّكُمْ عائدُون﴾[1].

أفيُكْشَفُ العَذَابِ يوْمَ القيامةِ؟...

« قال: فكُشِف ثُمَّ عَادُوا في كُفْرِهِمْ...

« فأخَذَهُمُ اللهُ يَوْمَ بَدْرٍ...

« قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[2].

[أخرجه البخاري]

« فحصَّت » أي أذهبت وأفنت...

« حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانا » وجه تعلقه بما قبله ما ذكر في سورة الروم انه قيل لابن مسعود أن رجلًا يقول يجيء دخان كذا وكذا فقال ابن مسعود: من علم شيئًا... الخ.

والحديث قد مضى في صحيح البخاري في سورة الروم وفيه:

« بَيْنَما رجُلٌ يُحَدِّثُ في كِنْدَةَ فقالَ: يَجِيءُ دُخانٌ يوْمَ القيامةِ فيأخُذُ بأسْماعِ المنافقِينَ وأبصارِهِمْ... يأخُذُ المؤمِنَ كهَيْئَةِ الزُّكامِ...

« فَفَزِعْنا فأتَيْتُ ابنَ مَسْعُودٍ وكان مُتَّكِئًا... فغَضِبَ فجَلَسَ فقالَ:

« مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ...

« ومَن لَمْ يَعْلَمْ فليَقُل اللهُ أعْلَمُ...

« فإنَّ مِنَ العِلْمِ أنْ تقولَ لما لاَ تَعْلَمُ لا أعْلَمُ...» الخ

---

(١) سورة الدخان، الآيات ١٠ ـ ١٥.

(٢) سورة الدخان، الآية ١٦.

« في كِنْدَة » موضع بالكوفة...

« فأتيت ابن مسعود » أي فأتيت ابن مسعود وأخبرته بخبر الرجل وكان متكئًا فغضب من ذلك فجلس...

★ ★ ★

هاهنا ابن مسعود يضع أصول العلم للعلماء:

مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فليَقُلْ بِهِ!!! ومَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أعلَمُ!!!

فإنَّ مِنَ العِلْمِ أنْ يقُولَ لِما لا يَعْلَمُ: اللهُ أعْلَمُ!!!

أُمُّ يَعْقُوبَ . . .
تُعْلِنُ الثورة . . .
على ابن مسعود . . . ؟!

عَنْ عَلْقَمَة . . .

« عنْ عبْدِاللهِ . . . قال:

« لَعَنَ اللهُ الواشِمَاتِ والمُوْتَشِمَاتِ . . .

« والمُتَنَمِّصاتِ والمُتَفَلِّجاتِ للحُسْنِ . . .

« المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ . . .

« فبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أسَدٍ يُقالُ لَها أُمُّ يَعْقُوبَ . . .

« فجاءَتْ فقالَتْ: إنَّهُ بَلغَني أنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ ؟! . . .

« فقال: وما لي لا أَلْعَنُ منْ لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ . . . ومَنْ هُوَ في كتابِ اللهِ ؟! . . .

« فقالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ ما بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فما وَجَدْتُ فيهِ ما تقولُ! . . .

« قال: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ . . . أمَا قَرَأْتِ ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا﴾[1] ؟ . . .

« قالَتْ: بَلَى . . .

« قال: فإنَّه قَدْ نَهَى عَنْهُ . . .

« قالَتْ: فَإنِّي أرَى أهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ ؟! . . .

---

(١) سورة الحشر، آية ٧.

« قال: فَاذْهَبي فَانْظُرِي...
« فذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ...
« فلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِها شيْئًا...
« فقال: لوْ كانتْ كذَلِكَ مَا جامَعَتْنَا».

[أخرجه البخاري]

« عن عبدالله » هو ابن مسعود...

« الواشمات» جمع واشمة من الوشم... وهو غرز إبرة في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة وغير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل منه الدم ثم يحشى ذلك الموضع بكحل أو نيلة ففاعل هذا واشم وواشمة والمفعول به موشومة فإن طلبت فعل ذلك فهي مستوشمة...

وهو حرام على الفاعل والمفعول بها باختيارها والطالبة له...

وقال النووي: قال أصحابنا: الموضع الذي وشم يصير نجسا فإن أمكن إزالته بالعلاج وجبت إزالته... وسواء في هذا كله الرجل والمرأة...

« والمُؤتَشِماتِ » جمع مؤتشمة وهي التي يفعل فيها الوشم...

« والمتنمصات» جمع متنمصة من التنمص وهو إزالة الشعر من الوجه مأخوذ من المِنماص وهو المنقاش... والمتنمصة هي الطالبة ازالة شعر وجهها... والنامصة هي الفاعلة ذلك يعني المزيلة...

قال النووي: وهو حرام... إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا يحرم بل يستحب عندنا!...

« والنهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه»!...

« المتفلجات» جمع متفلجة من التفلج وهو برد الاسنان... الثنايا والرباعيات... مأخوذ من الفَلَج وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات...

« للحُسْن » أي لأجل الحُسْن... قُيِد به لأن الحرام منه هو المفعول لطلب الحُسْن أما إذا احتيج اليه لعلاج أو عيب في السنّ ونحوه فلا بأس به...

وقال النووي: يفعل ذلك العجوز وشبهها اظهارًا للصغر وحسن الأسنان... وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها...

« المغيِّرات خلْق الله » يشمل ما ذكر قبله...

لأن ذلك كله تغيير لخلْق الله تعالى... وتزوير وتدليس...

« أمّ يعقوب » لم أقف على إسمها...

« مَن لَعَنَ » فيه دليل على جواز الاقتداء به في اطلاق اللعن معينا كان أو غير معين...

« ومَن هو في كتاب الله » ما لي لا ألعن مَن هو في كتاب الله ملعون...

قيل: أين في القرآن لعنتهن ؟...

أجيب: بأن فيه وجوب الانتهاء عما نهاه الرسول لقوله تعالى: ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1]...

وقد نهى عنه... ففاعله ظالم... وقال الله تعالى: ﴿ألاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2]...

« قرأت ما بين اللوحين » أي القرآن... وكانت قارئة للقرآن... وأرادت باللوحين الذي يسمى بالرحل ويوضع المصحف عليه...

« فإني أرى أهلك يفعلونه » ! أرادت بها زينب بنت عبدالله الثقفية...

« فلم تر من حاجتها شيئًا » أي فلم تر أم يعقوب من الذي ظنت ان زوج ابن مسعود كانت تفعله...

« فقال لو كانت كذلك » أي فقال ابن مسعود: لو كانت زوجي تفعل ذلك كما ذكرته...

« ما جامعتنا » أي ما صاحبتنا... بل كنا نطلقها ونفارقها...

---

(١) سورة الحشر، آية ٧.

(٢) سورة هود، آية ١٨.

وفي رواية: ما جامعتني...
وفي رواية: ما جامعتها... من الجماع... كناية عن ايقاع الطلاق...

★ ★ ★

حديث بلغ الغاية من الروعة والجمال في شخصية ابن مسعود...
أعلن ابن مسعود «لَعَنَ اللهُ الواشمات... المغيِّرات خَلْق الله»!!!
فثارت أم يعقوب للنساء...
وجاءت ثائرة تهدده: بلغني أنك لعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ؟!
فثار ابن مسعود ثورة رجل لا يخشى في الله لومة لائم...
وما لي لا ألعنُ مَن لَعَنَ رسول الله ﷺ؟!...
ومَن هو في كتاب الله... ملعونا؟!...

فقالت أم يعقوب ثائرة: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول؟!...

إنها تريد أن تنتصر لرأيها... ولكن هيهات هيهات... إنها أمام عملاق من عمالقة الإسلام... يعلم ما يقول... وعنده دليل ما يقول!!!

لئن كنت قرأتيهِ... لقَدْ وجدتيهِ!!!

فعجبت المرأة القارئة للكتاب: أين هذا الزعم الذي يزعمه ابن مسعود؟!!

فتابع ابن مسعود قوله في ثقة العالم الذي عنده القُدْرة على الاستنباط مِن كتاب الله تعالى...

أمَا قرَأْتِ... ﴿وما آتاكُمُ الرسولُ فخُذُوهُ... وما نهاكُمْ عنْهُ فانتَهُوا﴾؟!!

قالت أم يعقوب متعجبة... وهي تقول في نفسها: وما علاقة هذا بالذي نحن بصدده... قالت: بلى!!!

قال: فإنَّهُ قد نهَى عنهُ!!!

ثم أرادت أم يعقوب على طريقة النساء أن تلجأ إلى الإثارة فقالت...

فإني أرَى أهْلَك يفعلونه!!!

إنها تريد أن تنتصر بأي ثمن... ولو بالباطل... على حساب سمعة ابن مسعود!!!

ولكن هيهات هيهات... إنه الامام العظيم... عبدالله بن مسعود!!!

فاذهبي... فانظري...

فوقعت المرأة في حَرَج واضطربت لأنها تعلم أنها كاذبة!!!

فذهبت... فنظرت الى زوجة ابن مسعود... فلم تر من حاجتها شيئًا!!!

هنالك أعلن الإمام العظيم... في صوت يحبه الله:

لو كانت كذلك...

لو كانت كما زعمت...

ما جامعَتْنَا!!!!

قال لي...
النبيُّ صلى الله عليه وسلم...:
اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ...؟!

عنْ عبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ... قال:

« قال لِي النبيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ...

« قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ... اقْرَأُ عَلَيْكَ... وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟...

« قال: نَعَمْ...

« فَقَرَأْتُ سُورَةَ النساء حتَّى أتَيْتُ إلى هذهِ الآيَةِ... ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بشَهِيدٍ وجِئْنا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا...﴾[1]

« قال: حَسْبُكَ الآنَ...

« فالتَفَتُّ إلَيْهِ... فإذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفانِ ».

[أخرجه البخاري]

« عن عبدِاللهِ رضي الله عنه... قال:

« قال لِي النبيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ...

« قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟...

« قال: إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي.»

[أخرجه البخاري]

« اقرَأْ عَلَيَّ» فيه أن القراءة من الغيرِ أبلغ في التدبر والتفهم من قراءة

(١) سورة النساء، آية ٤١.

الانسان بنفسه...

وفيه فضل ظاهر لعبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه...

وفي التفسير: لما قرأ عبدالله هذه الآية قال سيدنا رسول الله ﷺ:

«مَن سره أن يقرأ القرآن غضّاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عَبْد»

«فإذا عيناه» أي عينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تطلقان دمعهما...

وفي بكاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه:

الأول:

قال ابن الجوزي: بكاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم عند هذه الآية الكريمة لأنه لا بد من أداء الشهادة والحُكم على المشهود عليه إنما يكون بقول الشاهد... فلما كان ﷺ هو الشاهد وهو الشافع بكى على المفرطين منهم...

الثاني:

أنه بكى لعظم ما تضمنته هذه الآية الكريمة من هول المطلع وشدة الأمر... إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب...

الثالث:

أنه بكى فرحا لقبول شهادة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة وقبول تزكيته لهم في ذلك اليوم العظيم.

فإن قلت: ما وجه قوله ﷺ لابن مسعود: حسبُك... عند وصوله الى الآية المذكورة؟...

قلت: تنبيها على الموعظة والاعتبار في هذه الآية...

ولهذا بكى وبكاؤه إشارة منه إلى معنى الوعظ... لأنه تمثل بنفسه

أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله... وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن...

* * *

وأقول... أيّ شرف نال ابنُ مسعود حين قال له النبي ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ القرآن؟!!

ولم يُصَدِّق ابن مسعود أذنيهِ من الفرح فقال:

آقْرَأُ عَلَيْكَ... وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟!...

فقال البشير النذير ﷺ:

إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غيري!!!

هنالك قَرأ ابن مسعود سورة النساء حتى أتى إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إذَا جِئْنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾[1]...

هنالك قال ﷺ: حَسْبُكَ...

وفي رواية: أمْسِكْ...

قال ابن مسعود: فالْتَفَتُّ إليه... فإذا عَيْناهُ تَذْرِفَانِ!!!

أقول: هذا المشهد وحده... مشهد اختيار النبي ﷺ لابن مسعود ليقرأ عليه القرآن...

ثم بكاء النبي ﷺ... كافٍ لتربية ابن مسعود تربية ربانية عليا...

أعظم الخَلْق... وأكرمهم على الله... اختاره وأمَرَه: اقْرأْ عَلَيَّ!!!

ثم جعل ابن مسعود يرتل من أول سورة النساء... إحدى وأربعين

(١) سورة النساء، آية ٤١.

آية... ورسول الله ﷺ يستمع إليه...

حتى أتى إلى هذه الآية الكريمة... فقال ﷺ: حسبُك...

ثم كانت المفاجأة لابن مسعود أن رأى عيني النبي ﷺ تذرفان!!!

مشاهد مقدسة في مشهد واحد!!!

وأمواج من الرحمة في مشهد واحد!!!

فكيف لا يذوب ابن مسعود... حبًّا لرسول الله ﷺ... وتصديقًا وإيمانًا... وهو يَسْبَح في هذه الأمواج العلَى؟!!

كان في بداية أمره...
شابًّا...
فقيرًا...؟!

عنْ عبدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ... قال:

« دَخلْتُ معَ عَلْقَمَةَ والأَسْوَدِ على عَبدِاللهِ...

« فقال عبدُاللهِ: كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ شبَابًا لا نَجِدُ شيْئًا...

« فقال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: يا مَعْشَرَ الشبابِ مَنِ استطاعَ الباءَةَ فليتزوَّجْ... فإنه أغضُّ للبَصَرِ وأحْصَنُ للفَرْجِ... ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فعلَيْهِ بالصوْمِ فإنَّه لهُ وِجَاءٌ ».

[أخرجه البخاري]

« وأحصن » أي أشد احصانًا له ومنعا من الوقوع في الفاحشة.

والأعم ان يراد بالباءة القدرة على الوطء ومؤن التزوج...

★ ★ ★

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه... قال: « كنَّا نَغْزُو مَعَ النبيِّ ﷺ ليس لنا نساءٌ...

فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ ألا نَسْتَخْصِي؟... « فنهانا عن ذلك ».

[أخرجه البخاري]

لما نهاهم ﷺ عن الاختصاء مع احتياجهم الى النساء ومع فقرهم... وكان مع كل منهم شيء من القرآن... كأنه أجاز لهم التزويج بما معهم من القرآن...

«فنهانا عن ذلك» أي عن الاستخصاء... فدلّ على أنه حرام في الآدمي صغيرًا كان أو كبيرًا... لأن فيه تغيير خلق الله تعالى... ولما فيه من قطع النسل وتعذيب الحيوان...

★ ★ ★

عثمان يداعب ابن مسعود؟!

«عن عَلْقَمَةَ... قال:

«كُنتُ معَ عبدِاللهِ...

«فلَقِيَهُ عُثمانُ بِمنًى...

«فقال: يا أبا عبدِ الرحمنِ إنَّ لي إلَيْكَ حاجَةً... فَخَلَيَا...

«فقالَ عُثمانُ: هَلْ لَكَ يا أبا عبدِ الرحمنِ في أنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا تُذَكِّرُكَ ما كُنتَ تَعْهَدُ؟...

«فلمَّا رأى عبدُاللهِ أن ليْسَ لهُ حاجَةٌ إلا هذا أشارَ إليَّ فقال: يا عَلْقَمَةُ...

«فانتهيتُ إليهِ وهو يقولُ: أمَا لَئِنْ قُلْتَ ذلِكَ... لقدْ قال لَنا النبيُّ ﷺ:

«يا مَعْشَرَ الشبابِ مَنِ استطاعَ منكُمُ الباءَةَ فليتزوَّجْ ومَن لم يستَطِعْ فعليْهِ بالصَّوْمِ فإنَّه له وِجاءٌ».

[أخرجه البخاري]

«يا أبا عبد الرحمن» هي كنية عبدالله بن مسعود...

«فخَلَيَا» وفي رواية فخلوا وهو الصواب... ومعناه دخلا في موضع خال...

««تذكرك ما كنتَ تعهد» يعني من نشاطك وقوة شبابك...

وقيل: لعل عثمان رأى به قشفا ورثاثة هيئة... فحمل ذلك على فقده الزوجة التي ترفهه...

وفي رواية مسلم: لعلها أن تذكرك ما مضى من زمانك...

وفي رواية ابن حبان: لعلها أن تذكرك ما فاتك...

« فلما رأى عبدُالله أن ليس له حاجة» أي لعثمان «إلا هذا» أي الترغيب في النكاح...

« يا معشر» المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف... فالشباب معشر... والشيوخ معشر...

« الشباب» جمع شاب ويجمع أيضًا على شُبَّان...

وفيه استحباب عرض الصاحب هذا على صاحبه...

ونكاح الشابة فإنها ألذ استمتاعًا... وأحسن عشرة... وأفكه محادثة... وأجمل منظرا... وألين ملمسا... وأقرب إلى أن يعودها زوجها الأخلاق التي يرتضيها!!!

★ ★ ★

وأقول: لقد كان ابن مسعود شابًّا فقيرًا... في بداية أمره... يعاني ما يعاني فقراء الشباب في كل عصر... ثم جعل الله له من أمره يُسْرا!!!

مِن روائع...
ابن مسعود...
في التفسير...؟!

جاء في صحيح البخاري:
«وقال ابنُ مَسْعُودٍ:
«الأُمّةُ: مُعَلِّمُ الخَيْرِ
أشار به إلى قوله تعالى:
﴿إنَّ إبراهيم كانَ أُمّةً قانِتًا للهِ﴾[1]...
وقال ابن مسعود في تفسير الأمّة بأنه معلِّم الخير.

★ ★ ★

هُنَّ مِنْ تِلاَدِي؟!

«سَمِعْتُ ابنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه...
«قالَ في بَني إسْرَائِيلَ... والكَهْفِ... ومَرْيَمَ...
«إنَّهُنَّ مِنَ العِتاقِ الأُوَلِ...
«وهُنَّ مِنْ تِلاَدِي».

[أخرجه البخاري]

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٠.

«مِنَ العِتاق» جمع عتيق... والعرب تجعل كل شيء بلغ الغاية في الجودة عتيقا... يريد تفضيل هذه السور... لما يتضمن مفتتح كل منها بأمر غريب وقع في العالم خارقا للعادة... وهو الإسراء... وقصة أصحاب الكهف... وقصة مريم... ونحوها...

«الأُوَل» والأولية إمّا باعتبار حفظها... أوْ باعتبار نزولها لأنها مكية...

«مِن تِلاَدي» وهو ما كان قديمًا... يقال ما له طارف ولا تالد... أي لا حديث ولا قديم...

وأراد بقوله، مِن تِلادي... أي من محفوظاتي القديمة!!!

﴿إلى رَبِّهِم الوَسِيلةَ﴾

- عنْ عبدِاللهِ...

«إلى ربِّهِم الوَسِيلَةَ... قالَ:

«كانَ ناسٌ مِنَ الإنْسِ يَعْبُدُونَ ناسًا مِنَ الْجِنِّ...

«فَأَسْلَمَ الْجِنُّ... وتَمَسَّكَ هَؤُلاَءِ بِدِينِهِمْ...»

[أخرجه البخاري]

«عن عبدالله» هو ابن مسعود رضي الله عنه...

«إلى ربهم الوسيلة» فيه حذف تقديره... عن عبدالله قال: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة قال: كان ناس من الإنس إلى آخره...

وهكذا في رواية مسلم غير أن في قوله ان نفرًا من الإنس يعبدون نفرًا من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم فنزلت ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[1] - انتهى -

---

(١) سورة الإسراء، آية ٥٧.

والمراد بالوسيلة القربة...

«وتمسك هؤلاء بدينهم» أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجنّ على عبادة الجنّ... والجنّ لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا... وهم الذين صاروا يبتغون الى ربهم الوسيلة!

وأقول: هذا شيء يثير الضحك من هؤلاء الأغبياء... هؤلاء النفر من الإنس!!!

اتخذوا من الجنّ آلهة يعبدونها...

فأسلم الجنّ من غير أن يعلم الإنسيون...

فاستمر النفر من الإنس في عبادة الجنّ... بينما ذهب الجنّ يبحثون عما يقربهم إلى الله... وهؤلاء الأغبياء يظنون أن الجنّ ما زالوا آلهة!!!

هُنَّ مِنَ العِتاقِ الأُوّلِ ؟!

«عن عبدِاللهِ... قال:

«بَني إسْرَائِيلَ...

«والكَهْفُ...

«ومَرْيَمُ...

«وطَه...

«والأنبياءُ...

«هُنَّ مِنَ الْعِتاقِ الأُوّلِ...

«وهُنَّ مِنْ تِلاَدِي.»

[أخرجه البخاري]

«بني إسرائيل» فيه حذف تقديره... سورة بني إسرائيل...

«العِتاقِ» جمع عتيق وهو ما بلغ الغاية في الجودة...

«تلادي» التِلاد ما كان قديماً... والأولية باعتبار النزول لأنها مكيات...

وأنها أول ما حفظها من القرآن...

ووجه تفضيل هذه السور لما تضمن ذكر القصص وأخبار أجلة الأنبياء عليهم السلام...

وقال في تفسير: ﴿وما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ...﴾[1] ؟!

«عن ابنِ مَسْعُودٍ...

﴿وما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾... الآيَةَ...

«كانَ رَجُلانِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ لَهُما مِنْ ثَقِيفٍ...

«أوْ: رَجُلاَنِ مِنْ ثَقِيفَ وخَتَنٌ لَهُما مِنْ قُرَيْشٍ...

«في بَيْتٍ...

«فقال بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ: أتُرَوْنَ أنَّ اللهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا»؟...

«فقال بعضُهُمْ: يَسْمَعُ بَعْضَهُ...

«وقال بَعْضُهُمْ: لَئِن كانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَع كُلَّهُ...

«فأُنْزِلَتْ ﴿وما كنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أبْصارُكُمْ...﴾ الآية».

[أخرجه البخاري]

«عن ابن مسعود وما كنتم تستترون» أي قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أبصارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ ولَكِن ظَنَنْتُمْ أن الله لا يَعْلَمُ كثيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾...

---

(١) سورة فصلت، آية ٢٢.

«تستترون» أي تستخفون...

«أن يشهد» لأن يشهد... وما كنتم تستترون: تستخفون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش... وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم... بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً...

«رجلان من قريش وخَتَنٌ لهما» الخَتَن كل من كان من قبل المرأة...

«أوْ رجلان من ثقيف» شك من الراوي عن ابن مسعود...

«يسمع بعضه» أي ما جهرْنا به...

«لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله» بيان الملازمة... ان نسبة جميع المسموعات اليه واحدة والتخصيص تحكم...

★ ★ ★

أقول: هذا مثال من إحاطة ابن مسعود بأسباب النزول!!!

فأوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أوْحَى؟!

«عنِ الشَّيْبَانِيِّ... قال:

«سألتُ زِرًّا عنْ قولِهِ تعالى... ﴿فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى ★ فأوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أوْحَى﴾[1].

«قال: أخْبَرنا عبدُاللهِ... أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لهُ سِتُّمائةِ جَنَاحٍ.»

[أخرجه البخاري]

(١) سورة النجم، آية ٩ ـ ١٠.

«أخبرنا عبدالله» هو عبدالله بن مسعود...

«أن محمدا» هذا هكذا... وعند غيره أنه محمد... أي أن العبد المذكور في قوله عز وجل إلى عبده...

وحاصل هذا أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل عليه الصلاة والسلام... كما ذهبت إلى ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها...

والتقدير على رأيه... فأوحى جبريل عليه الصلاة والسلام الى عبده أي عبدالله محمد...

لأنه يرى أن الذي دنا فتدلى هو جبريل وأنه هو الذي أوحى الى محمد ﷺ...

أوَّلُ سُورَةٍ أُنزِلَتْ فِيها سَجْدَةٌ؟!

«عنْ عبْدِاللهِ... رضِي الله عنه... قال:

«أوَّلُ سُورَةٍ أُنزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمِ...

«قال: فسَجَدَ رسولُ اللهِ ﷺ...

«وسَجَدَ مَن خَلْفَهُ...

«إلا رجُلًا رأَيْتُهُ أخَذَ كَفًّا مِن تُرَابٍ فسَجَدَ علَيْهِ...

«فرَأَيْتُهُ بعْدَ ذلِكَ قُتِلَ كافِرًا...

«وهُوَ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ».

[أخرجه البخاري]

«عن عبدالله» بن مسعود...

«فسجد رسول الله ﷺ» أي بعد فراغه من قراءتها.

«أخذ كفًّا من تراب» وفي رواية كفًّا من حصا أو تراب...

«فسجد عليه» وفي رواية شعبة «فرفعه الى وجهة فقال: يكفيني هذا»...

★ ★ ★

أقول: وهكذا يتبوأ ابن مسعود من أسباب النزول حيث يشاء!!!

فَتَلَقَّيْنَاهَا مِنْ فِيهِ؟!

«قال عبدُاللهِ...
«بَيْنَا نَحْنُ معَ رسولِ الله ﷺ في غارٍ...
«إذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ... وَالْمُرْسَلاَتِ...
«فتَلَقَّيْنَاهَا مِنْ فِيهِ...
«وإنَّ فَاهُ لرَطْب بِها...
«إذْ خَرَجَتْ حَيَّةٌ...
«فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: عَلَيْكُمُ اقْتُلُوهَا...
«قال: فابْتَدَرْناها فسَبَقَتْنا...
«قال: فقال: وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كما وُقِيتُمْ شَرَّها.»

[أخرجه البخاري]

«قال عبدالله» ابن مسعود...

«مِن فيه» أي من فمه...

«لرَطْب بها» أي لم يجف ريق رسول الله ﷺ عند ذلك لأنه كان أول زمان نزوله...

«فابتدرناها» أي فسبقناها... وقال أيضًا فسبقتنا فيكونون سابقين ومسبوقين...

★ ★ ★

وأقول: وهكذا كان ابن مسعود يحفظ ويتلقى آيات القرآن...
عن رسول الله ﷺ... «فتلقيناها مِن فيه»!!!
وإنَّ فاهُ لَرَطْبٌ بها!!!

أخَذْتُ منْ في رسول اللهِ ﷺ بِضْعًا وسَبْعِينَ سُورَةً؟!

«حدثنا شقيقُ بنُ سَلمَةَ... قال:
«خَطَبَنَا عبدُاللهِ بن مَسْعُودٍ... فقال:
«واللهِ...
«لقَدْ أخَذْتُ مِن في رسولِ اللهِ ﷺ...
«بِضْعًا وسَبْعِينَ سورَةً...
«واللهِ... لَقَدْ عَلِمَ أصْحابُ النبيِّ ﷺ...
«أنِّي مِنْ أعْلمِهِمْ بكتابِ اللهِ...
«وما أنا بخَيْرِهِمْ...
«قال شَقيقٌ: افجلَسْتُ في الحِلَقِ أسْمَعُ ما يقولونَ فما سمِعْتُ رَادًّا يقولُ غيْرَ ذلِكَ.»

[أخرجه البخاري]

«مِن في رسول الله ﷺ» أي من فمه...
«بضعا» ما بين الثلاث الى التسع
«أني من أعلمهم بكتاب الله» ووقع في رواية عبدة وابن شهاب جميعا عن الأعشى: أني أعلمهم بكتاب الله... بحذف مِن...
وفيه جواز ذكر الانسان نفسه بالفضيلة للحاجة...
وإنما النهي عن التزكية فإنما هو لمن مدحها للفخر والاعجاب...
«وما أنا بخيرهم» يعني ما أنا بأفضلهم...

إذ العشرة المبشرة أفضل منه بالاتفاق... وفيه ان زيادة العلم لا توجب الافضلية... لأن كثرة الثواب لها أسباب أخر من التقوى والاخلاص واعلاء كلمة الله وغيرها...

مع أن الأعلمية بكتاب الله لا تستلزم الأعلمية مطلقا...

لاحتمال أن يكون غيره أعلم بالسُّنّة...

«رَادًّا» أي عالما برد الأقوال... لأن رد الأقوال لا يكون الا للعلماء...

وغرضه أن أحدا لم يرد عليه هذا الكلام بل سلموا إليه...

★ ★ ★

وأقول: لقد سلّم العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ الى عبدالله بن مسعود...

أنه مِن أعلمهم بكتاب الله!!!

ابن مسعود يقول:
أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ ...
في مَرَضِهِ ...؟!

عن عبدِالله ... رضي الله عنه ... قال:

« أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ في مَرَضِهِ ...

« وهو يُوعَكُ وَعْكًا شَديدًا ...

« وقُلْتُ: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا ...

« قُلْتُ: إنَّ ذاكَ بأنَّ لكَ أَجْرَيْنِ ...

« قال: أجَلْ ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أذًى إلَّا حَاتَّ اللهُ عنهُ خَطايَاهُ كما تحاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ. »

[أخرجه البخاري]

« وهو يُوعَكُ » الوعْك: الحمى... أو إرعاد الحمى وتحريكه إياه... وقيل: الوعْك: الألم يجده الانسان من شدة التعب...

« أجل » أي نعم...

« حاتَّ الله » أي نثر الله عنه خطاياه... يقال تحاتَّ الشيء: أي تناثر...

« كما تحاتُّ » أي كما يسقط ورق الشجر.

« كأنه قال: نعم... يزيد الدرجات ويحط الخطيئات أيضًا...

واختلف العلماء فيه فقال أكثرهم فيه رفع الدرجة وحطّ الخطيئة... وقال بعضهم أنه يكفر الخطيئة فقط!

★ ★ ★

« عنْ عبدِاللهِ... قال:

« دَخَلْتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو يُوعَكُ...

« فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ؟...

« قالَ: أجَلْ إنِّي أُوعَكُ كما يُوَعكُ رَجُلان مِنْكُمْ...

« قلتُ: ذَلِكَ أنَّ لَكَ أجْرَيْنِ ؟...

« قال: أجَلْ... ذَلِكَ كذلِكَ... ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أذًى... شَوْكَةٌ فما فَوْقَها... إلا كَفَّرَ اللهُ بها سَيِّئَآتِهِ كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها.»

[أخرجه البخاري]

« سيئآته » يفيد العموم فيلزم منه تكفير جميع الذنوب صغيرة وكبيرة...

نرجو ذلك منك يا أكرم الأكرمين... ويا أرحم الراحمين...

« كما تحُطُّ » أي تلقيه منتثرًا...

وحاصل المعنى أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهي إلى أن تحط السيئات كلها...

وقد روى أحمد... من حديث أبي هريرة « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة.»

* * *

وأقول: إنَّ ابن مسعود قد شهد النبي ﷺ وهو يُوعَكُ وَعْكا شديدا...

إنه يشهد بعينيه الأحوال الشريفة...

وفي رواية عنه:

« دَخَلْتُ على النبي ﷺ وهو يُوعَكُ فَمَسَسْتُهُ... فقُلْتُ: إنَّكَ لتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا ؟...

« قالَ: أجَلْ... كما يُوعَكُ رجُلاَن مِنْكُمْ...» !!!

هنالك عَلِمَ ابن مسعود... أنَّ النبوة تكاليف... وأنَّ أشدّ الناسِ بَلاءً الأنبياءُ !!!

ابن مسعود ينقل...
إلى النبيِّ ﷺ...
ما قال الأنصاريّ...؟!

عنِ ابنِ مَسْعُودٍ... رضي الله عنه.. قال:
« قَسَمَ رسولُ اللهِ ﷺ قِسْمَةً...
« فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: واللهِ ما أَرَادَ مُحَمَّدٌ بهَذَا وَجْهَ اللهِ...
« فأتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ... فأخْبَرْتُهُ...
« فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ وقال:
« رَحِمَ اللهُ مُوسَى...
« لَقَدْ أُوذِيَ بأكثَرَ منْ هَذَا فَصَبَرَ.»

[أخرجه البخاري]

« قَسَمَ» أي يوم حُنين... وقد أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل...
« فتمَعَّرَ» أي تغيَّر لونه...

وفيه من الفقه ان أهل الفضل والخير قد يعز عليهم ما يقال فيهم من الباطل ويكبر عليهم فإن ذلك جبلة في البشر فطرهم الله عليها... إلا أن أهل الفضل يتلقون ذلك بالصبر الجميل... اقتداء بمن تقدمهم من المؤمنين...

ألا يرى أنه ﷺ قد اقتدى في ذلك بصبر موسى صلوات الله وسلامه عليه...

★ ★ ★

وفي رواية أخرى:

« قال عبدُاللهِ: قَسَمَ النبيُّ ﷺ قِسْمَةً لبَعْضِ ما كان يَقْسِمُ...

« فقال رجُلٌ مِنَ الأنصار: واللهِ إنَّها لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بِها وجْهُ اللهِ...

« قُلْتُ: أمَّا أنا لأقُولَنَّ للنبيِّ ﷺ...

« فأتَيْتُهُ وهُوَ في أصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ...

« فَشَقَّ ذلِكَ على النبيِّ ﷺ...

« وتَغَيَّرَ وَجْهُهُ... وغَضِبَ...

« حتَّى وَدِدْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أخْبَرْتُهُ...

« ثُمَّ قالَ: قَدْ أوذِيَ مُوسَى بأكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ.»

[أخرجه البخاري]

« قَسَمَ» يعني يوم حنين... وأعطى ناسًا من أشراف العرب ولم يعط الأنصار...

★ ★ ★

وأقول: إنَّ ابن مسعود يشهد النبي ﷺ... وقد تغيَّر وجهه... وغضب...

ثم يشهده ﷺ وهو يصبر على الأذى!!!

وهذه دروس عُليا... يتعلم منها ابن مسعود: كيف تكون الأخلاق العُليا!!!

أشْبَهَ الناسِ هَدْيًا...
برسولِ اللهِ...
صلى الله عليه وسلم...؟!

سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ:
« إنَّ أشْبَهَ النَّاسِ دَلًّا...
« وَسَمْتًا...
« وَهَدْيًا...
« برسولِ اللهِ ﷺ...
« لابنُ أُمِّ عَبْد...
« مِنْ حِين يَخْرُجُ مِن بَيْتِهِ إلى أنْ يَرْجِعَ إلَيْهِ...
« لا نَدْرِي ما يَصْنَعُ في أهْلِهِ إذَا خَلاَ.»

[أخرجه البخاري]

« دَلًّا » قريب المعنى من الهَدْي... وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل...

« وسَمْتًا » السَّمت: الطريق والمقصد وهيئة أهل الخير...

« وهَدْيًا » الهَدْي: هو السيرة...

« لابنُ أُمِّ عَبْد » هو عبدالله بن مسعود... وأُمّه... أُمّ عبد... ولها صُحبة...

وكان أصحابه يدخلون عليه... فينظرون اليه... قولا... وفعلا.... حركة وسكونًا... حالا وملكة... وغيرها...

فيتشبهون به رضي الله تعاله عنه...

«من حين يخرج من بيته» إلى آخره... أراد بذلك أنه يشاهد ما قاله عن عبدالله بن مسعود... من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه... أي إلى بيته... ثم قال:

«لا ندري ما يصنع في أهله اذا خلا بهم» لأنه ربما ينبسط بهم...

ولم يرد بذلك اثبات نقص في حق عبدالله... فافهم...

وفيه من الفقه أنه ينبغي للناس الاقتداء بأهل الفضل والصلاح في جميع أحوالهم... في هيئتهم وتواضعهم للخلْق... ورحمتهم وانصافهم من أنفسهم... وفي مأكلهم ومشربهم واقتصادهم في أمورهم تبركا بذلك!!!

★ ★ ★

وأقول: هذا كله جميل... وأجمل منه أن نجد في زماننا هذا... مِثْل ابن مسعود... لنتخذه قدوة صالحة... ولكن أين هؤلاء؟!!!

ابن مسعود...
يتحدث عن نظرية...
نسبية الذنوب...؟!

حدثنا عبدُاللهِ بنُ مَسْعُودٍ... حديثَيْنِ...

«أحَدُهُما عنِ النبيِّ ﷺ... والآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ... قال:

«إنَّ المؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كأنَّهُ قاعِدٌ تحْتَ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يَقَعَ عَلَيْهِ... وإنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كذبابٍ مَرَّ علَى أنْفِهِ فقالَ بِهِ هَكَذَا...

«قال أبُو شهابٍ بيَدِهِ فوْقَ أنْفِهِ...

«ثُمَّ قال:

«للهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وبِهِ مَهْلَكَةٌ... وَمَعَهُ راحِلَتُهُ علَيْها طعامُهُ وشرابُهُ...

«فوَضَعَ رَأْسَهُ فنامَ نَوْمَةً فاستَيْقَظَ وقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ...

«حتى إذا اشتدَّ عليهِ الحَرُّ والعَطَشُ أوْ ما شاءَ اللهُ قال: أرْجِعُ إلى مَكَانِي...

«فرَجَعَ فنامَ نَوْمَةً...

«ثمَّ رَفَعَ رأسَهُ فإذا راحِلَتُهُ عِنْدَهُ.»

[أخرجه البخاري]

«والآخَرُ عن نفسِهِ» أي نفس ابن مسعود...

ولم يصرح بالمرفوع الى النبي ﷺ...

وقال النووي: إن المرفوع هو قوله لله أفرح إلى آخره... والأول قول ابن مسعود...

«إن المؤمن يرى ذنوبه» السبب فيه ان قلب المؤمن منور... فإذا رأى من نفسه ما يخالف ذلك عظم الأمر عليه... والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل منه النجاة بخلاف الجبل إذا سقط عليه لا ينجو عادة...

«وإن الفاجر» أي العاصي والفاسق...

«يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه» أراد أن ذنبه سهل عليه... لأن قلبه مظلم فالذنب عنده خفيف...

«فقال به هكذا» أي نحاه بيده... أو دفعه... أو ذَبَّه...

«ثم قال» أي عبدالله بن مسعود... ثم ذكر الحديث...

★ ★ ★

أقول: نظرية خطيرة يعلنها ابن مسعود:

المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه!!!

الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا!!!

وأقول: إن هذا المستوى الرفيع الذي يتحدث منه ابن مسعود... هو من آثار اشعاعات النور النبوي الذي يتشعشع الى قلوب أصحاب رسول الله ﷺ!!!

مِن أبدع...
ما رَوَى ابن مسعود...
عن النبيِّ...
صلى الله عليه وسلم...؟!

عنْ عبدِالله... رضي الله عنه... قال:

«خَطَّ النبي ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا...

«وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خارِجا مِنْهُ...

«وخَطَّ خُطُطًا صِغارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ... مِنْ جَانِبِهِ الذي في الوَسَطِ...

وقال: هَذَا الإنسانُ... وهَذَا أجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ...

«أوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ...

«وهذا الذي هُوَ خارِجٌ أمَلُهُ...

«وهذِهِ الخُطُطُ الصِّغَارُ الأعْرَاضُ... فإنْ أخْطأهُ هذا نَهَشَهُ هَذَا... وإنْ أخطأهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا.»

[أخرجه البخاري]

«عن عبدالله» هو ابن مسعود رضي الله عنه...

«خَطَّ النبي ﷺ» الخطّ: الرسم والشكل...

«مرَّبعًا» هو المستوي الزوايا...

«خارجًا منه» من الخطّ المربع...

«وخَطَّ خُطَطًا» جمع الخطة...

«وقال» أي النبي ﷺ...

« هذا الإنسان » أي هذا الخطّ هو الانسان... هذا على سبيل التمثيل... وهذه صفته...

انسان أجل أمل

« وهذه الخُطُط الصغار الأعراض » أي الآفات العارضة له...

وفي رواية: وهذه الخطوط... وهي الشطبات على الخط الخارج من وسط المربع من فوقه ومن أسفله وهي الأعراض أي الآفات...

« فإن أخطأه هذا » أي فإن تجاوز عنه هذا العرض...

« نهشه هذا » أي العرض الآخر... أي أصابه...

« وإن أخطأه هذا » أي وإن أخطأ الانسان هذا العرض نهشه هذا... أي عرض آخر... وهو الأجل...

يعني: ان لم يمت بالموت الاخترامي لابد أن يموت بالموت الطبيعي...

وحاصله ان ابن آدم يتعاطى الأمل... ويختلجه الأجل دون الأمل...

★ ★ ★

وأقول: هاهنا جمال بلغ الغاية... ومثال بَلَغ النهاية...

كل انسان له آمال عريضة... وأحلام بلا حدود...

ولكن هيهات هيهات ان يبقى حتى يبلغ أمله في الدنيا...

إن أجَلَه... إن الموعد المحدد لموته سوف يُحَتِّم عليه أن يترك آماله وأحلامه ويمضي كما مضى الأولون!!!

سؤال خطير...
«أيُّكُمْ مالُ وارِثِهِ...
أَحَبُّ إلَيْهِ مِنْ مَالِهِ»...؟!

قال عَبْدُاللهِ:

«قال النبيُّ ﷺ:

«أيُّكُمْ مَالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟...

«قالُوا: يا رسولَ اللهِ... ما مِنَّا أحَدٌ إلاّ مَالُهُ أحَبُّ إليْهِ...

«قال: فَإِنَّ مالهُ مَا قَدَّمَ...

«وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ.»

[أخرجه البخاري]

«قال عبدالله» عبدالله هو ابن مسعود...

«ما قَدَّمَ» أي على موته... بأن صرفه في حياته في مصارف الخير...

«ومال وارثه ما أَخَّرَ» أي ما أخَّره من المال الذي يتركه ولا يتصدق منه حتى يموت...

* * *

وأقول: هذا الحديث كنزٌ لا يفنى من رفيع المعاني... وجليل المعارف!!!

سؤال خطير جدًا... أُلْقِيَ على الصحابة...

أيُّكُم مالُ وارِثِهِ أحبُّ إليهِ من مالِهِ؟!!

الجواب الطبيعي على كل لسان:

يا رسول الله... ما مِنَّا أحدٌ إلا مالُهُ أحبُّ إليْه!!!

شيء طبيعي أن يكون هذا جواب مَن أجاب...

كل إنسان مالُه أحبٌّ إليه من مال وارثه!!!

ولكن انظر الى التصحيح الصادر عن أعلى فِكْرٍ كان أو يكون!!!

فإنَّ مالهُ ما قَدَّم... ومالُ وارثِهِ ما أخَّرَ...

أي ليس لك من مالك في الحقيقة إلا ما قدَّمت منه في الخيرات...

أمَّا جميع مالك الذي أبقيته حتى متّ عنه فهو في الحقيقة ليس مالك... بل مال وارثك مِن بعدك!!!

ليت الناس جميعا... وخاصة الأغنياء منهم... راجعوا أنفسهم وموقفهم على ضوء هذا التصحيح الأعظم... الصادر عن النبي الأعظم... ﷺ!!!

وهكذا... ومِن مِثْل هذه التوجيهات العُلْيا كان شَراب ابن مسعود!!!

أمير الكوفة يقول:
لا تَسألوني...
ما دَامَ هذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ...؟!

سُئِلَ أبُو مُوسَى...

«عَنْ ابْنَةٍ... وابْنَةِ ابْنٍ... وأُخْتٍ...

«فقالَ: لِلْاِبْنَةِ النِّصْفُ...

«ولِلْأُخْتِ النِّصْفُ...

«وأْتِ ابنَ مَسْعُودٍ فَسَيُتابعُني...

«فسُئِلَ ابنُ مَسْعُودٍ... وأُخْبِرَ بقَوْلِ أبي مُوسَى...

«فقال: لَقَدْ ضَلَلْتُ إذًا وَمَا أنا مِنَ المُهْتَدِينَ...

«أَقْضِي فِيَها بما قَضَى النبيُّ ﷺ...

«لِلْاِبْنَةِ النِّصْفُ...

«وَلاِبْنَةِ الابنِ السُّدُسُ... تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ...

«وما بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ...

«فأتَيْنا أبا مُوسى فأخْبَرْناهُ بقَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ...

«فقال: لا تَسْألوني ما دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ.»

[أخرجه البخاري]

«سُئِلَ أبو موسى» عند النسائي: جاء رجل الى أبي موسى الأشعري وهو الأمير... وإلى سلمان بن ربيعة الباهلي فسألهما... وقد ذكروا أن سلمان المذكور كان على قضاء الكوفة...

« وانت ابن مسعود » قال ذلك للاستثبات...

﴿قد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين﴾ قال الكرماني: غرض عبدالله بن مسعود من قراءة هذه الآية هو أنه لو قال بحرمان بنت الابن لكان ضالا...

قلت: الحاصل من ذلك أن قول ابن مسعود هذا جواب عن قول أبي موسى أنه سيتابعني... وأشار الى أنه لو تابعه لخالف صريح السُّنة التي عنده... وأنه لو خالفها عامدا لضلّ...

« أقضي فيها » أي في هذه المسألة... أو في هذه القضية...

« بما قضى النبي ﷺ » والذي قضاه هو قوله للابنة النصف الى آخره...

وفي رواية الدارقطني: فقال ابن مسعود كيف أقول... يعني مثل قول ابي موسى... وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول - فذكره -

وكانت هذه القضية في زمن عثمان رضي الله عنه... لأنه هو الذي أمَّر أبا موسى على الكوفة...

وكان ابن مسعود قبل ذلك أميرها...

ثم عزل قبل ولاية أبي موسى عليها بمدة...

« فأتينا أبا موسى » فيه اشعار بأن هزيلا الراوي المذكور توجه مع السائل إلى ابن مسعود... فسمع جوابه... فعاد إلى أبي موسى معه فأخبره...

ما دام هذا الحَبْر فيكم » أراد به ابن مسعود... والحبر هو الذي يحسن الكلام ويزينه...

وفيه أن الحجة عند التنازع سُنَّة النبي ﷺ...

فيجب الرحوع إليها...

وفيه بيان ما كانوا عليه من الانصاف... والاعتراف بالحق...

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٦.

والرجوع إليه... وشهادة بعضهم لبعض بالعلم والفضل... وكثرة اطلاع ابن مسعود على السُّنّة وتثبت أبي موسى عن الفتيا حيث دل على مَن ظنّ أنه أعلم منه...

قال ابن بطال: ولا خلاف بين العلماء فيما رواه ابن مسعود...

وفي جواب أبي موسى اشعار بأنه رجع عما قاله...

وقال ابن العربي: يؤخذ من قصة أبي موسى وابن مسعود جواز العمل بالقياس قبل معرفة الخبر... والرجوع إلى الخبر بعد معرفته... ونقض الحُكم إذا خالف النص...

★ ★ ★

وأقول: وأفتى الإمام عبدالله بن مسعود...
فأبطل فتوى ابي موسى الأشعري أمير الكوفة...
واعترف الأمير لابن مسعود... أنه أعلم!!!

أنُؤَاخَذُ...
بِما عَمِلْنا...
في الجاهِلِيّةِ...؟!

عنِ ابنِ مَسْعُودٍ... رضي الله عنه... قال:

« قال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ... أنُؤَاخَذُ بما عَمِلْنا في الجاهليّةِ؟...

« قال:

« مَنْ أحْسَنَ في الإسلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بما عَمِلَ في الجاهليّةِ...

« ومَن أساءَ في الإسلامِ أُخِذَ بالأوّلِ والآخِرِ. »

[أخرجه البخاري]

« أنُؤَاخَذُ » الهمزة فيه للاستفهام... ونُؤاخذ من المؤاخذة... يقال فلان أُخِذ بذنبه أي حبس وجوزي عليه وعوقب به...

« مَن أحسن في الاسلام » الاحسان في الاسلام: الاستمرار على دينه وترك المعاصي...

« ومَن أساء » الاساءة في الاسلام: الارتداد عن دينه...

« أُخِذَ بالأوّلِ » أي بما عمل في الكفر...

« والآخِرِ » بما عمل في الاسلام...

وقال الخطابي:

ظاهره خلاف ما أجمع عليه الأمّة من أن الاسلام يجُبّ ما قبله... وقال تعالى ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1] ...

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٨.

وتأويله: ان يعير بما كان منه في الكفر ويبكت به... كأنه يقال له: أليس قد فعلت كذا وكذا وأنت كافر فهلا منعك اسلامك من معاودة مثله إذا أسلمت؟...

ثم يعاقب على المعصية التي اكتسبها أي في الاسلام...

وقال الكرماني:

يحتمل أن يكون معنى أساء في الاسلام ألا يكون صحيح الإسلام... أوْ لا يكون إيمانه خالصًا بأن يكون منافقا ونحوه...

أيُّنا...
لَمْ يَظْلِمْ...
نَفْسَهُ...؟!

عنْ عبدِاللهِ... رضي الله عنه... قال:

«لمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ... ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُم بظُلْمٍ﴾[1]...

شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أصْحابِ النبيِّ ﷺ... وقالُوا:

«أيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟!...

«فقال رسول الله ﷺ:

«لَيْسَ كما تَظُنُّونَ...

«إنَّما هُوَ كما قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ...

«يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.»

[أخرجه البخاري]

مطابقته للترجمة من حيث انه ﷺ... لم يؤاخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم بحملهم الظُلم في الآية على عمومه حتى يتناول كل معصية... بل عَذَرَهُم لأنه ظاهر في التأويل...

ثم بَيَّن لهم المراد بقوله «ليس كما تظنون» الخ...

★ ★ ★

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

وأخيرًا أقول:

كانت الأبواب السابقة... بدءًا مِن باب «عبقرية ابن مسعود»... حتى هذا الباب... مختارات من أحاديث رواها البخاريّ في صحيحه... رُوِيَت عن عبدالله بن مسعود... أو رَوَاهَا هو...

لاحظنا في اختيارها أن تكون تصويرًا صادقًا لحياة ابن مسعود...

والآن ندخل إلى...؟

شخصية . . .

عبدالله . . .

ابن مسعود . . . ؟!

ليست شخصية ابن مسعود لُغزًا يصعب تحليله . . .

وإنما الصعوبة تأتي من تشعب الشخصية . . . وتعدد خصائصها . . . ومزاياها . . .

فربما كانت شخصية كشخصية خالد بن الوليد . . . أسهل وأيسر . . . من شخصية ابن مسعود . . . تحليلا . . .

ذلك أنَّ تفوق خالد يمكن حصره في امتياز عبقريته العسكرية . . .

وبالتالي ارجاع عجائبه كلها الى تلك الصفة البارزة من شخصيته . . . المهيمنة على تصرفاتها . . .

وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى شخصية ابن مسعود . . .

فهو مقاتل رائع . . . وهذه عبقرية عسكرية . . .

وهو سابق الى الاسلام . . . وهذه عبقرية إيمانية . . .

وهو قد شهد المشاهد كلها . . . وهذه تُعطيه عبقرية تربوية . . .

وهو فوق ذلك صاحب مقام رفيع في تلقي القرآن عن رسول الله ﷺ . . . وهذه عبقرية علمية . . .

وهو منفرد برأيه في أمورٍ لم يستطع غيره أن يفتي فيها . . . وهذه عبقرية فتوى . . .

من هنا كانت صعوبة تحليل شخصيته . . . لتعدد النواحي التي بلغ منها الغاية . . . والله المستعان . . .

إنك غلام مُعَلَّم؟!

قال ابن مسعود وهو يروي قصة إسلامه:

« ثم أتيتُ فقلت: يا رسول الله... علمني من هذا الكلام...

« فمسح رأسي وقال: إنك غلام مُعَلَّم...

« فلقد أخذت منه سبعين سورَةً... ما نازعني فيها بَشَر.»!!!

وهكذا بدأت عبقرية ابن مسعود...

لقد اكتشفه رسول الله ﷺ... منذ كان ابن مسعود غلامًا...

ودعا له... وبَشَّره أنه سوف يُعَلَّم... ويُعَلِّم...

ومن تلك اللحظة انتقل ابن مسعود من راعي غَنَم... إلى راعي أُمَم...

من رُوَيْعي غنَم... إلى إمام من أعظم أئمة الاسلام!!!

لا يخشى في الله... لوْمَة لائم؟!

أعظم صفات الرسل العليا على الاطلاق هي صفة الشجاعة في إعلان الحقّ غير مبالين بلَوْمِ اللائمين!!!

قال عزَّ وجلَّ:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ...

وَيَخْشَوْنَهُ...

وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله...

وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا.﴾[1]!!!

هذا عن الرُّسُل... فماذا عن أتباعهم؟!

نفس الناموس... يتفاضل المؤمنون... بنسبة ما يتصفون به من هذه الصفة... صفة الشجاعة في إعلان الحقّ...

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٩.

ولعل ابن مسعود كان ذا حظٍّ عظيم من هذه الصفة العليا... صفة الشجاعة في إعلان الحقّ... غير مبالٍ بلوْم اللائمين...

وقد مَرَّ في صفحات الكتاب الأولى أنه...

« اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا:

« والله ما سَمِعَت قُرَيش هذا القرآن يُجْهَرُ لها به قَطّ...

« فمن رجلٌ يُسْمِعُهم؟ »

أقول: البطولة هنا تحتاج الى بطل... إلى رجل يتحدى قريشا كلها بصناديدها...

فاندفع الشاب ابن مسعود فقال: أنا!!! هاهنا مفتاح من مفاتيح الشخصية... إنه شجاع... غير هيَّاب... لا يبالي بالموت...

فربما قتله صناديد الكفر جزاء إجرامه كما يتصورون!!!

« فقالوا: إنا نخشاهم عليك... إنما نريد رجلًا له عشيرةٌ تمنعه من القوم إن أرادوه »!!!

إن الصحابة يخشون أن تقدم قريش على قتل الشاب ابن مسعود!!!

فماذا قال الفتى المقدام؟!

قال: دعُوني... فإن الله سيمنعني!!!

واندفع البطل... إليهم جميعا يتحداهم!!!

« فغدا عبدالله حتى أتى المقام في الضُّحَى... وقريش في أنديتها...

« حتى قام عند المقام... فقال رافعا صوته:

« بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم.

﴿الرحمنُ ★

﴿عَلَّمَ القُرْآنَ.﴾[1]

« فاستقبلها فقرأ بها... »!!!

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان ١ ـ ٢.

ماذا أقول؟!

إن عظمة الصحابة هاهنا...

أبطال يحملون أعلى وأغلى وأشرف وأكرم وأعظم كلمة...

«لا إله إلا الله»!!!

يحملونها وهم على استعداد في كل لحظة لأدائها الى الناس كافة...

فإن قبلوها... فنِعِمَّا هي...

وإن ضادوها... بذل الصحابة دماءهم للدفاع عنها...

فإمَّا ماتوا دونها... وإمَّا بَلَّغُوها الى العالم أجْمَع...

هاهنا شرف الصحابة...

وهاهنا يرتفعون فوق الناس جميعا...

ما كانوا مهازيل إيمان يتمتمون بتراتيل ثم يذهبون الى فُرُشِهم كالنساء...

ولكن مقاتلين أبدًا... مجاهدين أبدًا...

انظر الى مَن شهد مقام «ثانِيَ اثْنَيْن»... أبي بكر...

واستمع الى دَوِيّ هتافه المجلجل الى السماء: والله لو منعوني عقالا... كانوا يؤدونه الى رسول الله... ﷺ... لقاتلتهم عليه!!!

هذه هي أعماق الإسلام... وليس هذا العَبَث المُميت الذي نحن فيه...

ثم ماذا؟!... ثم حارب أبو بكر الدنيا كلها إحقاقًا لحقّ لا إله إلا الله...

وقد سجَّل عنه ابن مسعود هذا المقام الشريف حين قال:

«فوالله ما رضي منهم إلا بالخُطّة المخزية أو الحرب المُجلية...

«فأمّا الخُطّة المخزية فأن يقرّوا بأن مَن قُتل منهم في النار... ومَن قُتل منا في الجنة...

«وأما الحرب المُجلية فأن يُخْرَجوا من ديارهم»!!!

ثم ماذا؟!... ثم أعلن العملاق أبو بكر... البطل أبو بكر... الحرب

على جميع العرب... وسيَّر احد عشر جيشًا لقتالهم!!!

هذا هو الإسلام... يا مَن أثقلتم الإسلام بانتسابكم إليه زورًا وبُهتانًا!!!

ثم ماذا؟!... ثم نعود الى البطل ابن مسعود...

ها هو يهتف... وما أعظم ما يهتف!!!

إنه يهتف بسورة اسمها «سورة الرحمن»...

وهؤلاء المجرمون... صناديد قريش... ينهالون عليه ضَرْبًا... وسَبًّا!!!

﴿الرحمنُ ★

﴿عَلَّمَ القُرْآنَ ★

﴿خَلَقَ الإنسانَ ★

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ★

﴿الشَّمْسُ والقَمَرُ بحُسْبَانٍ ★

﴿والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1] إلى آخره...

هذا المقام وحده كافٍ للكشف عن حقيقة معدن ابن مسعود... إنه رجل يخشى الله... ولا يخشى أحَدًا إلا الله...

فقاموا... فجعلوا يضربون في وجهه....

«وجعل يقرأ... حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ»!!!

«منظر يحبه الله!!!

«شاب مؤمن... يُبَلِّغ كلام الله... إلى أعداء الله... في قلب ناديهم... ورغم أنوفهم!!!

كلما انهالوا عليه ضربا وصفعا ولَكْما... كلما ازداد هتافه بآيات السورة!!!

هذا المقام وحده... يرفع ابن مسعود عند الله رفْعا عظيما!!!

شتَّان بين نفسية شاب مكافح مناضل في سبيل الله... وبين نفسية

---

(١) سورة الرحمن، الآيات ١ ـ ٦.

شاب مِن كثير من شباب اليوم الضائع التافه الهائم لا يدري لحياته هَدَفا!!!

« ثم انصرف إلى أصحابه... وقد أثَّروا بوجهه...

« فقالوا: هذا الذي خشينا عليك...

« فقال: ما كان أعداءُ الله قَطّ أهونَ عليَّ منهم الآن!!!

« ولئن شئتم غادَيْتُهم بمِثْلها غدًا!!!

هذا هو الشاب ابن مسعود... إنه لا يرى قريشًا مجتمعة عليه... وهو وحده... شيئًا يُذْكر!!!

إنه على استعداد لأن يتحداهم بمِثْلِها غدًا!!!

إنه لا يخشى في الله لومة لائم!!!

المقام الكريم؟!

في حديث مَرَّ علينا:

« قال لي رسول الله ﷺ:

« اقرأْ عَلَيَّ سُورةَ النساء

« قلتُ: أقرأُ عليك وعليك أُنْزِلَ؟!

« قال: إني أُحبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غيري...

« فقرأتُ عليه حتى بلغتُ:

﴿فكيْفَ إذا جِئْنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجئْنا بكَ علَى هؤلاء شهيدًا﴾[1]؟... إلى آخر الآية...

« فاضَتْ عيناه ﷺ.»!!!

هذا المقام مقام عزيز... لا يصل إليه إلا مَن شاء الله...

---

(١) سورة النساء، الآية ٤١.

عزيزٌ لأنّ اختيار النبي ﷺ له ليقوم بمهمة القراءة عليه... فيه عبقرية الاختيار...

فما اختاره ﷺ إلا لأنه أهل لذاك...

وفيه دليل على عبقرية ابن مسعود...

وفيه دليل على اخلاصه لله ولرسوله... وإلا ما اختاره ﷺ ليقرأ عليه...

فالنبيّ ﷺ يحب أن يسمع كلام الله... من عبدٍ قلبه شديد الحبّ لله... فاختار ابن مسعود لذاك... فكان دليلًا على أنه أهل لذاك!!!

وقد أعطى رسول الله ﷺ تلك الشهادة لابن مسعود... ففي رواية:

«لما قرأ عبدالله هذه الآية قال سيدنا رسول الله ﷺ:

«مَن سرّه أن يقرأ القرآن غضًّا... كما نزل... فليقرأه على قراءة ابن أُمّ عَبْد...»!!!

غضًّا... كما نَزَلَ؟!!!

هاهنا المفتاح... أنَّ ابن مسعود، مَوْجه الروحي شفّاف غاية الشفافية... عاليًا.... غاية العُلُوّ...

ومن حيث أن القرآن كلام الله... فهو على أقصى ما يمكن من السموّ... والدرجة الرفيعة من الروحانية...

فإذا قرأه عبدٌ رفيع الموجة الروحية... استطاع أن يخرجه كما نَزَلَ...

وقد نَزَلَ به الرُّوح الأمين... فإذا استقبله روح عالي المَوجة... خَرَجَ منه غضًّا... كما نَزَلَ!!! وهذا كله دليل على أنَّ ابن مسعود ذو حظٍّ عظيم... وذو مقام كريم!!!

صاحب السِّرّ؟!!

وقالوا:

« وكان يخدمه!!!

« فكان يلج عليه!!!

« ويلبسه نعليه!!!

« ويمشي معه وأمامه!!!

« ويوقظه إذا نام!!!

« وكان يُعرف في الصحابة بصاحب السِّوَاد (السِّرّ) والسواك»!!!

فما آثار ذلك كله في شخصية ابن مسعود؟!

آثاره بعيدة جدًا... عميقة جدًا... فإن شخصا يسمح له النبي ﷺ بذلك كله... فيه دليل على أمانته البالغة...

فهو أمين السِّرّ... وهو يتعلم كل ساعة جديدًا... من أخلاق النبي ﷺ العظمى...

وفيه دليل على أن النبي ﷺ كان يرضى عنه...

وحَسْب ابن مسعود أن يكون أمينا للسِّرّ...

حتى قال أبو موسى الأشعري:

وما نُرَى إلا أن عبدالله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ...

« لِمَا نَرَى من دخوله ودخول أُمِّه على النبي ﷺ».!!!

ترشيحه أميرًا للمؤمنين؟!

« عن عليٍّ قال:

« قال رسول الله ﷺ:

« لو كُنتُ مُؤَمِّرًا أحدًا مِنَ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنهُمْ...

«لأَمَّرْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ.»!!! فما معنى هذا؟!!
معناه أن شخصية ابن مسعود... تصلح لأعلى المناصِب القيادية...

وإذا عُلِمَ أن مَنْصَب رئيس الدولة الأعظم والأوحد في العالم آنذاك... يقتضي منتهى الامتياز الإيماني... والعلمي... والفقهي... والقدرة على سياسة الأمور على مستوى العالم كله... إذا عُلِمَ ذلك أدركنا إلى أي مدى كانت هناك صفات ممتازة مكنونة في شخصية ابن مسعود...

إلا أنَّ الأمر شورى... يُرْجَع فيه إلى أصحاب رسول الله ﷺ... وإلى أولي الأمر منهم!!!

شهد سائر المشاهد... وآثار ذلك في شخصيته؟!

وقالوا:
«وهاجر الهجرتين جميعًا...
«إلى الحبشة... وإلى المدينة...
«وصلَّى القبلتين...
«وشهد بدرا...
«وأُحُدا...
«والخندق...
«وبيعة الرضوان...
«وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ...
«وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ»!!!
وأقول: ما هي آثار شهوده المشاهد كلها في شخصيته؟!!
آثارها أنَّ شخصيته كانت تتكون تباعًا... مع كل مشهد مشهد...
حين هاجر الى الحبشة... ذاق الغربة في سبيل الله...

وحين هاجر الى المدينة... ذاق التضحية بكل شيء في سبيل الله...

وحين صلّى مع النبي ﷺ والقبلة الى بيت المقدس... ذاق جمال الاتباع...

وحين صلّى معه ﷺ الى البيت الحرام... بعد تحويل القبلة اليها... ذاق معنى الطاعة لله ولرسوله...

وحين شهد بدْرًا... ذاق ما لا يقع تحت حصر من المعاني الربانية العُلْيا... فازدادت شخصيته سموًّا وعُلُوًّا...

ودَخَلَ في عداد:

﴿والَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيل اللهِ والَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.﴾[1]...

وأصبحَ «رجُلاً شهد بدْرًا»... وهذه وحدها تكفيه... فكيف وله غيرها من المشاهد الشيء الكثير؟!

فقد شهد أُحُدًا...

وشهد الخندق...

ففي أُحُد تَعَلَّم عمليا شيئًا كثيرًا...

ورأى النصر... ثم رأى الهزيمة... فأدرك ما لم يكن يُدرك...

وفي الخندق ذاق ذلك المعنى الربانيّ الرفيع...

﴿وَلَّما رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إيمَانًا وَتَسْلِيمًا.﴾[2]

﴿مِن المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا.﴾[3]

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

وكان ابن مسعود أحد هؤلاء العظماء... الذين أثنى الله عليهم...
لقد ازداد ابن مسعود لمّا رأى الأحزاب إيمانًا وتسليمًا...
لقد ازدادت شخصيته إيمانًا... وازدادت تسليما...
وسجّل له القرآن... ولأصحاب النبي ﷺ... أنهم هم الأبطال حقًّا... حين قال:
«مِنَ المؤمنين رِجَالٌ» أي من المؤمنين أبطال بلغوا الغاية من البطولة والرجولة...
لماذا بلغ ابن مسعود هذا المستوى الرفيع عند الله؟!
«صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ...
«فمنهم مَن قَضَى نَحْبَهُ» من استشهد كأسد الله وأسد رسوله... سيد الشهداء... حمزة بن عبد المطلب... وسائر من استشهد...
«ومِنْهُم مَن يَنتَظرُ» كعبدالله بن مسعود.. وسائر الصحابة...
لماذا فاز هؤلاء العظماء بذلك المقام الرفيع؟!
«وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلًا» هم راسخون ثابتون على كتاب الله... وسُنَّةِ رسول الله ﷺ... ومنهم عبدالله بن مسعود فقد كان مثالًا فريدًا للعمل بالكتاب والسُّنَّة!!!

ثم ماذا؟!

ثم شهد ابن مسعود... فيما شهد... بيعة الرضوان...
عاهد فيها رسول الله ﷺ... كما عاهد الألف وأربعمائة صحابيّ... على الموت!!!
واستعد ابن مسعود... كما استعد هؤلاء جميعًا... للموت في أي لحظة...
هنالك ازدادت شخصيته سُمُوًّا... وازدادت إيمانًا على إيمانِها...
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إيمَانًا مَعَ

إيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وكانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.﴾[1]

فَكِّرْ هاهنا في قوله «أنزَلَ السَّكِينَة في قُلُوب المؤمنين لِيَزْدَادُوا إيمانًا مَعَ إيمانِهِم...»

هناك سَكينةٌ ضخمة أُنزِلَتْ في قلوب أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة... وكان ابن مسعود أحدهم...

ثم كان من آثارها في شخصيته

«ليزدادوا إيمانًا» أن زادت نسبة إيمانه... وقد كان من قبل مؤمنًا عظيمًا... ولكن ازداد الآن إيمانًا فوق إيمان «مَع إيمانهم» مضافًا إلى إيمانهم السابق!!!

إن شخصية ابن مسعود... كلما مَرَّتْ على مشهد اكتسبت إيمانًا جديدًا... وازدادت ادراكًا لمراتب جديدة من آفاق الإيمان...

ثم ماذا؟!

ثم نال ابن مسعود حين بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان... وسامًا ليس كمثله وسام...

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا.﴾[2]!!!

الله أكبر!!!

طوبى لابن مسعود... ثم طوبى له!!!

إنه أحَد هؤلاء الأكرمين... أصحاب بيعة الرضوان... تحت الشجرة...

إنه وسام... تحت الشجرة!!!

«لقد رضيَ الله عنِ المؤمنين»... ومنهم ابن مسعود!!!

«إذْ يُبايعونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»... ومنهم ابن مسعود!!!

---

(١) سورة الفتح، الآية ٤.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٨.

«فعَلِمَ ما في قلوبِهِم»... ومنها قلب ابن مسعود!!!

«فأنزَلَ السَّكينة عَلَيْهِمْ»... وذاق ابن مسعود تلك السكينة...

فكيف كانت شخصيته حين أنزَلَ الله عليه تلك السكينة؟!!

أم كيف كانت تلك الشخصية وقد رضي الله عنها... وكانت يد الله فوق يده؟!!

﴿إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِم فَمَن نَّكَثَ فَإنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْرًا عَظِيمًا.﴾[1]!!!

إنها مراتب يرتفع إليها ابن مسعود... ويرقى إليها مرتبة بعد مرتبة...

مقامات يطويها... وتزداد شخصيته بها صعودا!!!

ثم ماذا؟!

وشهد... وشهد... وشهد ابن مسعود... لم يدع شيئًا فيه خير إلا سارع إليه...

ولا مشهدًا لرسول الله ﷺ... إلا كان حاضره... ثم ماذا؟!!

ثم مشهد وفاة رسول الله ﷺ...

وقد مَرَّ علينا ما وصف به ابن مسعود ذلك المشهد الشريف... وأفاض في وصفه...

وترك ذلك المشهد في شخصيته ما ترك من الحزن ولوعة الفراق... وأيّ فراق؟!!

ثم ماذا؟!... ثم كان حريصًا على الخير حيث كان...

وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ...

وهكذا... كلما مَرَّ على مشهد... وشارك فيه... كلما ازداد إيمانه إيمانًا... وازدادت تجربته العملية في تطبيق هذا الدين عُمْقًا وخبرة!!!

---

(١) سورة الفتح، الآية ١٠.

شتَّان بين رجل سمع مَثَلًا عن غزوة بدْر... ورجل كان أحد مقاتليها... فرق واسع بين الرجلين!!!

مقاتلٌ أبَدًا ؟!

شخصيته فوق ما هو عالم عَلَّامة...

مقاتلٌ يحرص على الموت... ولا يحرص على الحياة!!!

وهذا ما يرفعه رفْعًا عظيمًا... فوق كل إمامٍ فقيه... جاء من بَعده... من بعد عهد الصحابة...

فقد يكون هناك بعد عصر الصحابة علماء وفقهاء أجلاء ملأوا الأرض عِلْما...

إلا أنَّ ابن مسعود يسبقهم سبْقًا عظيمًا...

لأنه مقاتل يطلب إحدى الحُسْنَيَيْن... إمّا الجنة وإمّا الشهادة...

قاتل مع رسول الله ﷺ...

وهو الذي أجهز على أبي جهل في غزوة بدْر...

وما من غزوة إلا كان حريصًا على شهودها...

ذلك أنه تربية أعظم نبيّ... وإخراج أعلى رسول...

ربّاه على أنَّ أعلى وأفضل الأعمال هو الجهاد في سبيل الله!!!

فهو حريص على القتال... حريص على الشهادة...

في نفس الوقت... هو العالِم العَلّامة... وهو العابد على أعلى ما يكون العابدون...

« كان عبدُالله إذا هَدَأَت العيونُ...

« قام... فسمعتُ له دَوِيًّا كدَوِيِّ النَّحْلِ حتى يُصْبح ».!!!

فَكِّر في هذه؟!...

مقاتل لا يدع غزوة إلا شارك فيها...

وفي نفس الوقت قائمٌ الليل... يُرَتِّل القرآن ترتيلا... كدويِّ النَّحْل... حتى يصبح!!!

ما هذا؟!... هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ... وهذا أحَدُهم!!!

ومِن هنا تفوّق ابن مسعود... على أي عالم في أي شُعبة من شعب العلوم الدينية يأتي من بعده...

كما تفوّق الصحابة على أيّ أحد يأتي مِن بعدهم... لحرصهم على الاقتداء بالنبي ﷺ في كلِّ أمرهم!!!

قد تجد في هذا الزمان عالما عظيمًا... في التفسير... أوْ في الفقه... أوْ في شعبة من شُعَب الإسلام...

إلا أنه يبقى دون ابن مسعود... لأن هؤلاء علماء نظريون... يثرثرون ويتفيهقون بجميل الألفاظ... وساحر البيان... ولا شيء وراء ذلك...

أمَّا ابن مسعود... أمَّا أيّ صحابي جليل... فشيء أعلى من ذلك... يطبّقون جميع ما تعلّموا ولا يقفون عند ترديد الكلمات!!!

فيمكن أن يقال إن شخصية ابن مسعود... كان لسان حالها... يقول: السيف في يميني... والقلم في يساري!!!

رَأْي عمر في شخصية... ابن مسعود؟!

تعتبر شهادة عمر... في ابن مسعود... شهادة حقّ... مائة في المائة!!!

فماذا قال الفاروق في شخصية ابن مسعود؟!!

قالوا:

«وسَيَّره عمر إلى الكوفة... وكتب إلى أهل الكوفة:

«إني قد بعثت عمارَ بن ياسر... أميرًا...

«وعبدالله بن مسعود مُعَلِّمًا ووزيرًا...

«وهما من النُّجَبَاء... من أصحاب رسول الله...

«من أهل بدر...

«فاقتدُوا بهما..

«وأطيعوا واسمعوا قولَهُما...

«وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي...»!!!

«هذه شهادة الفاروق الذي جعل الله الحَقَّ على لسان عمر وقلبه...

«مُعَلِّمًا... ووزيرًا... من النجباء... من أصحاب رسول الله ﷺ... من أهل بدر... فاقتدوا بهما... وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي»!!!

من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ؟!!

أي من عباقرة الصحابة!!!

فاقتدوا بهما... أي هو أسوة حسنة يُقْتَدَى بها...

وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي... أي هناك تضحية كبيرة من عمر... أن تنازل عن ابن مسعود وأرسله الى أهل الكوفة... إنه يريده عنده مستشارًا أمينًا يشير عليه ضمن أهل الشورى!!!

وإذا قال عمر... فليسمع التاريخ... وَلْيُطأطئ الناس!!!

رأي الإمام عَلِيّ... في شخصية ابن مسعود؟!

وازداد ابن مسعود شَرَفًا على شَرَفٍ... حين قال الإمام عليٌّ رأيه في شخصيته فماذا قال:

«عن حبة بن جُوَين...
«عن عليّ... قال:
«كنا عنده جلوسًا... فقالوا:
«ما رأينا رجلًا أحسن خُلُقًا...
«ولا أرفق تعليما...
«ولا أحسن مجالسة...
«ولا أشد وَرَعًا...
«من ابن مسعود...
«قال عليٌّ:
«أنشدُكُم الله أهو الصدق من قلوبكم؟...
«قالوا: نعم...
«قال: اللهم اشهد أني أقول مثل ما قالوا... وأفضل!!!
وفي رواية الحاكم:
«أقول فيه مثل ما قالوا...
«وأفضل مَن قرأ القرآن...
«وأحلّ حلاله...
«وحرَّمَ حرامه...
«فقيه في الدين...
«عالم بالسُّنَّة»!!!
«هذه شهادة الإمام عليّ... وما أدراك ما الإمام عليّ!!!

رَأْي ابن مسعود... في شخصية ابن مسعود؟!

«لما شَقَّ عثمان رضي الله عنه المصاحف... بلغ ذلك عبدَالله فقال:

«لقد علم أصحابُ محمد أني أعلمهم بكتاب الله...
«وما أنا بخيرهم...
«ولو أني أعلم أن أحدًا أعلمُ بكتاب الله مني تُبَلِّغُنِيه الإبلُ لأتَيْتُه...
«فقال أبو وائل:
«فقمت الى الخلْق أسمع ما يقولون...
«فما سمعت أحدًا من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه.»!!!
وأقول: هذا رأي ابن مسعود في شخصية ابن مسعود...
وخلاصته: أعلمهم بكتاب الله... وما أنا بخيرهم...
فما رأي الصحابة في شخصيته؟! سَجَّلَه الراوي حيث قال: فقمت الى الخَلْق أسمع ما يقولون... فما سمعتُ أحدًا من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه!!!
هذا هو رأي الصحابة في ابن مسعود!!!
ولكن رغم عظمة هذه الشهادات كلها... شهادة عمر... وعليّ... وابن مسعود... والصحابة...
وأنها دليل واضح على عظمة شخصية ابن مسعود...
إلّا أن الشهادة التي هي الشهادة... إنما هي شهادة رسول الله ﷺ في ابن مسعود...
فماذا قال ﷺ؟!

قال لي رسولُ اللهِ... ﷺ: أنْتَ مِنْهُمْ؟!

«عَنْ عَلْقَمَةَ...
«عَنْ عبدِاللهِ... قالَ:
«لمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ....

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحات جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وآمَنُوا.﴾

«إلى آخِرِ الآيَةِ...

«قالَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ

«قِيلَ لِي:

«أنْتَ مِنْهُمْ.»

[أخرجه مسلم]

وتمام الآية:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

قيل: لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم: كيف بمن شربها من إخواننا الذين ماتوا وهم قد شربوا الخمر وأكلوا الميسر؟... فأنزل الله تعالى هذه الآية...

والمعنى: ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنًا ما كان... إذا اتقوا أن يكون في ذلك شيء من المحرم... واستمروا على الإيمان والأعمال الصالحة...

وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحُكم بها... بل لبيان التعدد والتكرار بالغًا ما بلغ...

والمعنى: أنهم إذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الإيمان والأعمال الصالحة... وكانوا في طاعة الله تعالى... ومراعاة أوامره ونواهيه... بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه... ثم... وثم... فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من

(١) سورة المائدة، الآية ٩٣.

المآكل والمشارب... إذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه...

وأريد بالاحسان فعل الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة بجميع ما ذكر من الأعمال القلبية والقالبية...

وقيل:

باعتبار الحالات الثلاث...

بأن يتقي الله تعالى ويؤمن به في السر ويجتنب ما يضر نفسه من عمل واعتقاد...

ويتقي الله تعالى ويؤمن به علانية ويجتنب ما يضر الناس...

ويتقي الله تعالى ويؤمن به بينه وبين الله تعالى... بحيث يرفع الوسائط وينتهي إلى أقصى المراتب...

ولما في هذه الحالة من الزلفى منه تعالى ذكر الاحسان فيها بناء على أنه كما فسره ﷺ في الخبر الصحيح «أن تعبد الله تعالى كأنك تراه»...

وقيل: المراد بالأول اتقاء الكفر...

وبالثاني اتقاء الكبائر... وبالثالث اتقاء الصغائر...

ومما يدل على أن الآية للتشريع الكلي... ما أخرجه مسلم... والترمذي... والنسائي... وغيرهم... عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿ليس على الذين آمنوا﴾ الآية قال لي رسول الله ﷺ: «قيل لي: أنت منهم»...

★ ★ ★

وأقول: وهكذا كان ابن مسعود من المحسنين ﴿واللهُ يُحِبُّ المحسنين﴾...

وكانت شخصيته دائمة الترقي... من مرتبة: ﴿اتَّقَوْا وآمَنُوا وعملوا الصالحاتِ﴾.

إلى مرتبة... ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وآمنوا﴾... أي ازدادوا تقوى. وازدادوا إيمانًا...

الى مرتبة... ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا﴾ حتى بلغ مرتبة الإحسان... وهي «أن تعبد الله كأنك تراه»... واللهُ يُحِبُّ المحسنينَ...

وشهد له ﷺ: «أنتَ مِنْهُمْ»!!!

مقام: يا رُوَيْعِيَ الْغَنَمِ ؟!

هذا الدين القَيِّم... الذي اسمه الاسلام...

فيه قوة لا تتناهى... وقدرة لا نهاية لها... في بناء شخصية الانسان... أيّ انسان...

وإذا تأملنا ابن مسعود: ماذا كان قبل الاسلام... وماذا كان بعد الاسلام... أدركنا على الفور صدق هذه النظرية...

فَعَلَ المسمَّى أبو جهل الأفاعيل بمن أسلموا في فترة الاستضعاف بمكة... وكان منهم ابن مسعود...

فلما كانت غزوة بدْر... رأينا العجب العجاب... رأينا ابن مسعود الذي كان مجرد راعي غنم لعُقْبَة بن أبي مُعَيْط... أي كان أجيرًا لا وزن له...

رأيناه يحتزّ عنق أبي جهل... في عزّة وثقة بنصر الله!!!

وفي هذا يقول ابن مسعود:

«فوجدته بآخر رَمَق فعرفْتُهُ...

«فوضعتُ رِجْلي على عُنقه...

«وقد كان ضَبَث[1] بي مَرَّة بمكة فآذاني ولكزني...

---

(١) ضبث: قبض عليه ولزمه.

«ثم قلت له: هل أخزاك الله... يا عدوّ الله؟!...

«... قال لي: لقد ارتقيت مُرْتَقًى صَعْبًا يا رُوَيْعِيَ الغنم؟!

«ثم احتززتُ رأسه...

«ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ...»!!!

أقول: هاهنا في هذا المقام... مقام يا رُوَيْعِيَ الغَنَم... يتم الفصْل في القضية... أخطر قضية...

قضية الحُكْم بين أهل الحقّ وأهل الباطل...

لقد كان أبو جهل يُمَثِّل أقصى اجرام الكفر... وها هو عُنُقه تحت قدم ابن مسعود!!!

هاهنا امتلأت شخصية ابن مسعود ثقة في الله... وفي وعْد الله... وأنَّ هذا الدين حقّ... وأنَّ وعْد الله حقّ!!!

لقد كان ابن مسعود كلما مَرَّ على تجربة من تجارب هذا الدين... ازداد إيمانًا... وازدادت شخصيته معرفة بأعماق الدين!!!

مقام: سُدُس الإسلام؟!

قالوا: قال عبدالله:

«لقد رَأَيْتُنِي سادسَ ستة...

«ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا.»!!! فما أثر ذلك في شخصية ابن مسعود؟!

لقد كان ابن مسعود في تلك اللحظة سُدُس الإسلام... فكيف كانت شخصيته آنذاك... وبعد ذاك؟!

كانت تؤمن بالله ورسوله... إيمانًا لو تَوَزَّع على أُمَّة لكفاها وزيادة!!!

ماذا ينتظر ابن مسعود من البلايا والمحن والآلام آنذاك؟!
إنه يؤمن بدينٍ لا يؤمن به سوى خمسةٍ سواه!!!
هاهنا العظمة التي لا ترقى اليها عظمة!!!
وهذا هو البطل الذي لا يوازيه بطل!!!

إنَّ مئات الملايين من مسلمي هذا العصر لو وُضِعُوا في كفة ووُضِعَ ابن مسعود في كفة... لرجح ابن مسعود!!!

لماذا؟!... لأنه لولا ابن مسعود ما ذاقت هذه الملايين شيئًا من الاسلام...

لأن ابن مسعود... والسابقين من الصحابة... هم الذين فتحوا الباب للناس جميعًا... فدخلوا من ورائهم أفواجًا!!!

أمَّا أثر مقام: سادس ستة... بعد ذاك في شخصية ابن مسعود... فقد كان عظيمًا... ها هو يرى الناس يدخلون في دين الله أفواجًا...

وها هي الامبراطوريتان العظميان... فارس والروم... تتبددان مع الريح... ويحلُّ محلهما الاسلام... دينًا ودولة... ويتدفق الفرس والرومان على الإسلام فرحين بنعمة الله!!!

شهدت شخصيته الاسلام حين كان هو سادس ستة... ما على ظهر الأرض مسلم غيرهم...

وشهدت شخصيته الاسلام... وقد مَلَكَ العالم كله... ورفرفت أعلامه فوق الكرة الأرضية كلها...

مشاعر فيَّاضة... تهدر في أعماق شخصية ابن مسعود... فتزيدها حيوية ومعرفة وإيمانًا!!!

ابن مسعود... بقَلَم ابن مسعود؟!

عن عبدالله... قال:

«وَالَّذِي لا إلهَ غيْرُهُ...

«مَا مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ...

«إلَّا أنا أعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ...

«وَمَا مِنْ آيَةٍ إلَّا أنَا أعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ...

«وَلَوْ أعْلَمُ أحَدًا هُوَ أعْلَمُ بكتابِ اللهِ مِنِّى تَبْلُغُهُ الإبِلُ لرَكِبْتُ إلَيْهِ.»...

ها هنا يتحدث ابن مسعود عن نفسه... ليس فخْرًا... ولكن تقريرًا لحقيقة...

إنه يعلم أسباب النزول في كل آية...

ويعلم الناسخ والمنسوخ من كل آية...

ويعلم السُّنَن... لأنه أخذها رأسًا من النبيِّ ﷺ...

«علَّمني رسول الله ﷺ التشهد... وكفِّي بين كفَّيه... كما يعلمني السورة من القرآن.»!!!

ويعلم كيف يقرأ القرآن كما أُنزِلَ غضًّا...

«لَقَدْ أخَذْتُ مِنْ فِي رسولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وسَبْعِينَ سُورَةً...»!!!

ويعلَم أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ يُقِرُّون له بذلك...

«واللهِ... لَقَدْ عَلِمَ أصحابُ النبيِّ ﷺ...

«أنِّي مِنْ أعْلَمِهِم بكتابِ اللهِ...»!!!

خلاصة شخصيته؟!

تشعبت بنا الأمور... ولكن لا بد في النهاية من قولٍ فَصْلٍ في شخصية ابن مسعود...

فما هي خلاصة شخصيته؟!

أحسن ما قيل جوابًا عن هذا السؤال... هو هذا الحديث:

« أتَيْنَا على حُذَيْفَةَ فقُلْنا:

« حَدِّثْنا:

« مَن أَقْرَبُ الناسِ...

« مِن رسولِ الله ﷺ...

« هَدْيًا... وَدَلًّا...

« فنأخُذَ عَنْهُ... ونَسْمَعَ مِنْهُ؟...

« قال:

« كانَ أقْرَبَ الناسِ هَدْيًا...

« وَدَلًّا... وَسَمْتًا... برسولِ اللهِ ﷺ...

« ابنُ مَسْعُودٍ...

« حتَّى يَتَوَارَى مِنَّا في بَيْتِهِ...

« ولَقَدْ عَلِمَ المحفُوظونَ مِنْ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ أنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ...

« هُوَ أقْرَبُهُمْ إلى اللهِ زُلْفَى.»!!!

« وَدَلًّا » قريب المعنى من الهَدْي... وهما من السكينة والوقار في الهيئة والشمائل...

« وسَمْتًا » الطريق والمقصد وهيئة أهل الخير!!!

وأخيرًا أقول:

هذه خلاصة شخصية ابن مسعود... التي تشعبت أمورها علينا...

سألوا سؤالا خطيرًا:

مَن أقربُ الناسِ من رسولِ اللهِ ﷺ ... هَدْيًا ... ودَلًّا ... فنأخُذَ عنهُ ... ونسمَعَ منهُ ؟!

إنهم يبحثون عن الأسوة الحسنة ... يبحثون عن أقرب الناس هَدْيًا من رسول الله ﷺ ... ليتعلموا منه ... ويعملوا كما يعمل!!!

فماذا قال حُذَيْفَةُ ؟!

قال:

« كانَ أقْرَبَ النَّاسِ ...

« هَدْيًا ...

« وَدَلًّا ...

« وسَمْتًا ...

« برسول الله ﷺ ...

« ابنُ مَسْعُودٍ ... » !!!

« ولذلك قالوا عن ابن مسعود:

« وكان أصحابه يدخلون عليه ...

« فينظرون إليه ...

« قوْلًا ... وفعْلًا ...

« حركة ... وسكونا ...

« حالًا ... ومَلَكَة ... وغيرها ...

« فيتشبهون به ...

« رضي الله تعالى عنه ... » !!!

تم

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

فهرس

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

ماذا في هذا الكتاب؟!

فيه حياة عبدالله بن مَسْعُود... أوّل مَن جَهَر بالقرآن بمكة!.

قال رسول الله ﷺ: خُذُوا القرآنَ مِنْ أربَعَةٍ... مِن ابنِ مَسْعُودٍ... وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ... ومُعَاذِ بنِ جَبَلٍ... وسالِمٍ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ.!

وقال ابن مسعود: ما أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتابِ اللهِ إلّا أنا أعْلَمُ: أيْنَ أُنزِلَتْ؟...!

وقال: لقد أخَذْتُ مِنْ في رسولِ اللهِ ﷺ بضْعًا وسبعين سُورَةً.!

وقال الترمذي: أصح حديث عن النبي ﷺ في التشهّد حديث ابن مسعود... والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين.!

وقالوا عن ابن مسعود: كان لا يحجبه رسول الله ﷺ إذا جاء... ولا يخفي عنه سرّه... وكان يلج عليه... ويلبسه نعليه... ويوقظه إذا نام... وكان يُعرف في الصحابة بصاحب السِّواد (السِّرّ) والسواك.!

وقال حُذَيْفَةُ: إنَّ أشْبَهَ النَّاسِ دَلًّا وسَمْتًا وهَدْيًا برسول الله ﷺ لابْنُ أمِّ عَبْد.! (أي ابن مسعود) (الدَّلّ: الشكل والشمائل).

Bibliotheca Alexandrina
0266325

To: www.al-mostafa.com